

حَلَالُكَ الْحَوِّ

لِسَائِلِ زُرُوفٍ فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لِلْحُجَّةِ الثَّامِنَةِ حَشْرَةَ

تَأَلِيفُ
مُهَذَّبِي الْبُيُوتِ الْجَابِرِيِّ

مِنْ كَرَامَةِ الْعَقَائِدِ

الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: دلائل الحق - أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية
 تأليف: السيد مهدي الموسوي الجابري
 مراجعة وتصحيح: الشيخ تحسين غاзи البلبداوي
 إخراج وتصميم: صفاء أحمد الشمرري
 الطبعة: الأولى
 سنة الطبع: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ
 الناشر: مركز الدليل العقائدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكمّان على سيّد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقاً من قوله **عَلَيْكَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)**، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه -التصدي للشبهات التي تطل- العقيدة الإسلامية عموماً، والتعريف بعقائد الشيعة الإمامية خصوصاً، مع -التصدي للرد على- كلّ الشبهات التي تطل المذهب الشيعي خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أسّس بنيانه، ووَضَعَ لبَنَاتِهِ الأُولَى النبيُّ الأقدس **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** حين قال في حديث صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفَتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معاً، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلاً،

لتضافر نقلها عند جميع الفرق الإسلامية - على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدة عن التعصّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلم هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمة له، وقد نُسب إلى سيد الموحّدين أمير المؤمنين مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله:

فُزْزْ بعلم ولا تطلّب به بدلاً فالناس مَوْتى وأهل العلم أحياء

وعلى وفق هذه المعطيات جاءت المجموعة الثامنة عشر من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلة من الكتب تحت عنوان (دلائل الحق)، آمليْن أن تجدوا فيه ما ينفعكم في أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أن تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائق نفّضنا عنها غبار الشُّبهات بعد أن أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستار التضييل، ونرجو أن تكون هذه السلسلة نبراساً لحلّ ما التبس على بعض الناس من مسائل العقيدة، وإنارة السبيل لهم، وأن يجدوا فيها ضالّتهم، وإجابة مسألّتهم.

ونسأل الله أن يجمع شمل المسلمين، ويزيد من عوامل التقائهم وألّفّتهم، ويجنّبهم شرّ التطرّف والمتطرّفين، وشرّ الكفّار والملحدين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفّار والمنافقين هي السفلى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

حديث الثقلين دليل قاطع على جمع النبي للقرآن وعدم الحاجة إلى جمع لاحق

المستشكل: عبد المالك الشافعي

الإشكال: جمع الخلفاء للقرآن يجعل الشيعة أمام خيارين: أن يكون غرض الخلفاء هو حفظ القرآن وصيانتَه، فيلزم منه الإقرار بصدق إيمانهم وتعظيمهم لكتاب الله ليسقط التشيع عن بكرة أبيه. أن يكون غرض الخلفاء هو طمس الإمامة وفضائل أهل البيت، فيلزم منه الاعتقاد بتحريف القرآن؛ ليخرجوا من دين الإسلام.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنَّ هذه المزاعم -القائلة بجمع الخلفاء للقرآن- تمثّل طعنًا في أصالة القرآن الكريم، علمًا بأنَّ إسناده جمع القرآن إلى الخلفاء بعد وفاة رسول الله ﷺ لا يقوم عليه دليل قطعي، وهو مناقض للقرآن والسُّنة وإجماع الأُمَّة.

وإذا ما رجعنا إلى حديث الثقلين الصحيح المتواتر، المروي عن بضع وعشرين صحابياً كما في "الصواعق المحرقة" لابن حجر الهيتمي، والذي ينص على: «أنني تاركٌ أو مخلفٌ فيكم الثقلين، أو: الخليفَتين. ما إن تمسكتُم بهما لن تضلّوا بعدي، كتابَ الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١).. وجدنا أن النتيجة واضحة كالشمس في رابعة النهار، وهي أن هذا القرآن قد جمعه النبي ﷺ في حياته؛ لأنه قد أشار في حديث الثقلين إلى قرآنٍ كان قد جمعه هو في حياته، وهذا خلاف أهل السنة الذين يقولون: إن الذي جمَعَ القرآن ورثبه هم الصحابة.. وبالنتيجة، فهم يعجزون عن تحديد القرآن الذي أراده النبي ﷺ في حديث الثقلين لأُمته أن تتمسك به، هل هو القرآن الذي جمعه عثمان، أو الذي جمعته عائشة، أو الذي جمعه ابن مسعود، أو الذي جمعه أبي بن كعب، أو... إلخ.

وعليه، فالثابت أن جمَعَ القرآن تمَّ في عهد الرسول ﷺ، وبهذا لا سبيل للطعن في أصالته؛ إذ إنه وصل إلينا بالتواتر القطعي.

وزعمُك أن غرض الخلفاء هو حفظ القرآن وصيانتَه، هو في حدِّ ذاته تكذيبٌ وتحريفٌ صريح للقرآن الكريم الذي نصَّ على حفظ الله تعالى له بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وهو تعالى صانَه من كل تحريفٍ أو تبديل بقوله:

(١) الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي، ص ١٣٦.

(٢) الحجر: ٩.

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾﴾^(١).

ولو فرضنا صحة ما ذكرت - وهو فرض مردود؛ لما تقدم ذكره - فإن هذا الغرض غير متحقق واقعاً؛ لأن التشيع ما زال قائماً - بفضل الله تعالى -، بل يتسع انتشاره في أرجاء المعمورة، مما يعني ببساطة أن الخلفاء لم يجمعوا القرآن، ولم يحفظوه من التحريف، وبالنتيجة، فإن ما ذكرته يعود عليك، ويلزمك.

وزعمك أن القول الشيعي بأن غرض الخلفاء كان طمس الإمامة وفنائ أهل البيت يستلزم بالضرورة اعتقادهم بتحريف القرآن.

فأنت عندما ربطت بنحو صريح بين مناهضة الإمامة وتحريف القرآن، واعتبرتهما وجهين لعملة واحدة، قدّمت لنا قاعدة مفادها: «أن من ينكر حق الإمامة، ويحارب أهل البيت، فهو في الحقيقة يشكك في صحة القرآن، ويعتقد بتحريفه».

فهذا الادّعاء يعود عليك، ويلزمك أيضاً؛ إذ إن هذا الغرض - أي غرض الخلفاء - هو الحقيقة التاريخية، فقد ناهض بعضهم الإمامة، وسعوا لإخفاء فضائل أهل البيت **عليه السلام**، بشتى الوسائل حتى قيل: "ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام إلا وسُلَّ على الإمامة".

(١) فصّلت: ٤٢.

وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنْ مَن نَاهِضُ الْإِمَامَةِ، وَأَقْصَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَنْ
مَكَانَتِهِمُ الَّتِي خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهَا، وَأَخْفَى فَضَائِلَهُمْ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
مَمَّنْ يَعْتَقِدُ بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ مَمَّنْ ادَّعَى ذَلِكَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمُعْصُومِينَ الْمُتَتَجَبِّينَ.



العادات اليهودية والنصرانية في عاشوراء "الصوم والاكتمال"

السؤال: السلام عليكم، ما دليلكم على أن أهل السنة يصومون يوم عاشوراء فرحاً بمقتل الحسين لا اتباعاً لسنة رسول الله واستحبابِ صوم هذا اليوم؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

من الأخطاء الجسيمة تعميمُ الأحكام على الناس بنحوٍ مطلق إذا اختلفوا معنا في الرأي أو الفكر. والحكمُ على جميع أهل السنة بأنهم يُعلنون الفرح بصوم يوم عاشوراء حكمٌ غيرٌ صحيح.

قد يُقال: إنَّ الصوم عبادةٌ بحدِّ ذاتها، فلماذا يوصف بأنه إعلانٌ عن فرح وسرور؟

نقول: المسألة هنا تتجاوز كون الصيام عبادةً، وتتعلّق بالسياق المرتبط بصوم عاشوراء، فالادّعاء بأنَّ هذا الصوم هو ذكرى لنجاة

موسى عليه السلام، يشي بربطه بالفرح والسرور. هذا، رغم أنه من صوم الجاهلية وأنه منهي عنه بعد مجيء صوم رمضان.. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر وابن مسعود: «قد كان يُصام -أي يوم عاشوراء- قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل رمضان ترك»^(١).

وها هو ابن القيم يتناول مسألة صيام يوم عاشوراء، ويربط بينه وبين قصة نجاة موسى وقومه من فرعون. ويؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله قد أقر صيام اليهود لهذا اليوم، ثم أمر المسلمين بصيامه، حيث يقول في كتابه "زاد المعاد": «لا ريب أن قريشًا كانت تعظم هذا اليوم، وكانوا يكسون الكعبة فيه، وصومته من تمام تعظيمه، ولكن إنما كانوا يعدون بالأهلة، فكان عندهم عاشر المحرم، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وجدهم يعظمون ذلك اليوم، ويصومونه، فسألهم عنه، فقالوا: هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نحن أحق منكم بموسى فصامه، وأمر بصيامه تقريرًا لتعظيمه وتأكيده، وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه وأمة أحق بموسى من اليهود، فإذا صامه موسى شكرًا لله، كنا أحق أن نقتدي به من اليهود، لا سيما إذا قلنا: شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يخالفه شرعنا.

فإن قيل: من أين لكم أن موسى صامه؟ قلنا: ثبت في

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٦٣٧؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٩٤، ت. عبد الباقي.

"الصحيحين" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عنهم قالوا: هو يومٌ عظيمٌ نجَّى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً لله، فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم. فصامه، وأمر بصيامه.

فلما أقرهم على ذلك، ولم يكذبهم عليم أن موسى صامه شكراً لله، فانضمَّ هذا القدر إلى التعظيم، الذي كان له قبل الهجرة، فازداد تأكيداً، حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في الأمصار بصومه، وإمساك من كان أكل، والظاهر أنه حتم ذلك عليهم، وأوجبه^(١).

وقد ورد أيضاً في أدبيات أهل السنة الندب إلى الاكتحال في يوم عاشوراء، وهو من العادات المقتربة بالاحتفال بيوم "سبت النور"، وترجع عادة وضع الكحل في "سبت النور" بحسب الاعتقاد المسيحي إلى ما كان يقوم به القدسيون في أورشليم من تكميل العيون لحمايتها من نور قبر السيد المسيح بحسب اعتقادهم، و"سبت النور"، أو السبت المقدس، ويُعرف أيضاً بسبت الفرح، وأحياناً بالسبت الأسود، وهو اليوم الذي يأتي بعد الجمعة العظيمة وقبل أحد القيامة أو عيد الفصح.

وقد أكَّد العلامة السخاوي في كتابه "المقاصد"، أن الاكتحال

(١) زاد المعاد، ج ٢، ص ٨٧، ط. عطاءات العلم.

بدعة ابتدعتها قتلة الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن حكم بضعف ما ورد في ذلك، حيث قال: «رَوَى الحاكم فيه حديثًا مرفوعًا عن ابن عباس: "من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدًا"، وقال الحاكم: إنه منكر»، وقال السخاوي: «بل هو موضوعٌ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات... قال الحاكم: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي فيه أثرٌ، وهو بدعة ابتدعتها قتلة الحسين رضي الله عنه»^(١).

وتتضح عقيدة الاكتحال يوم عاشوراء من قول الصاوي المالكي في حاشيته على الشرح الصغير، حيث يقول: «ويُنْدَب في عاشوراء التوسعة على الأهل والأقارب، بل يُنْدَب فيه اثنتا عشرة خصلة جمَعها بعضهم ما عدا عيادة المريض في قوله: صُمْ صَلِّ صَلِّ زُرْ عَالِمًا ثُمَّ اغْتَسِلْ رَأْسَ الْيَتِيمِ امْسَحْ تَصَدَّقْ وَاكْتَحِلْ وَسَّعْ عَلَى الْعِيَالِ قَلِّمْ ظُفْرًا وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ قُلْ أَلْفَا تَصِلْ»^(٢).

ويؤكد الأستاذ شحاتة محمد صقر في كتابه "دليل الواعظ"، أن الاحتفال بيوم عاشوراء على أنه عيد بإظهار الفرحة بالاكتحال والتجمل والتطيّب ومظاهر الفرحة الأخرى، هو بدعة لم ترد في السنة النبوية أو عن الصحابة والتابعين، ولم يؤيِّدها أيُّ من أئمة المسلمين، حيث قال: «بدعة الفرحة واتخاذ يوم عاشوراء عيدًا:

(١) المقاصد الحسنة، ص ٦٣٣، ت. الخشت.

(٢) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ج ١، ص ٢٤٣، ط. الحلبي.

وهي بدعة أحدثتها النواصب في هذا اليوم، - والنواصب طائفة من الخوارج يكفرون علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ويفسّقونه، ويتنقصون بحرمة أهل البيت - ومن مظاهر اتخاذ يوم عاشوراء عيدًا: إظهار الفرح والسرور والاغتسال والتجمل والاكتمال والتطيّب وإعداد المطاعم وذبح الذبائح والتوسعة على العيال إلى غير ذلك. ولم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي - ﷺ -، ولا عن أصحابه، ولا استحَبَّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئًا لا عن النبي - ﷺ - ولا الصحابة ولا التابعين لا صحيحًا ولا ضعيفًا لا في كتب الصحيح ولا في السُّنن ولا المسانيد، ولا يُعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة»^(١).

قد يتساءل البعض: ما الهدف من إظهار الفرح والابتهاج في يوم عاشوراء وإعلانه عيدًا؟

نقول: لقد أُجيب عن هذا السؤال من قِبَل بعض علماء أهل السُّنة مثل ابن كثير الدمشقي في "البداية والنهاية"، حيث قال: «وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء، النواصب من أهل الشام، فكانوا في يوم عاشوراء يطبخون الحبوب، ويغتسلون، ويتطيّبون، ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتخذون ذلك اليوم عيدًا،

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، ج ١، ص ٥٢٦.

يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح؛ يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم»^(١).

وقال أيضاً «ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مآتماً، يُظهرون فيه الحزن على الحسين، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة، فادَّعوا أن في اليوم الثامن عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مآتماً كما تعمل الشيعة للحسين»^(٢).

وجاء في "مجلة الرسالة": «أما الدولة الأيوبية فقد اتخذت يوم عاشوراء عيداً ومن أيام الأفراح لإرغام أناف الشيعة وإيذائهم. هذا هو أثر فاجعة كربلاء في التاريخ الإسلامي»^(٣).

وقال الدكتور عبد الله الغفيلي: «وفي مقابل هؤلاء الرافضة واتخاذهم يوم عاشوراء مآتماً وحزناً من يتخذ يوم عاشوراء عيداً ويوم فرح وسرور، وهم النواصب»^(٤).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجّبين.

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ١١، ص ٥٧٧، ت. التركي.

(٢) البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٥٤.

(٣) مجلة الرسالة، العدد، ٨٥٥، ص ١٨.

(٤) ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، للغفيلي، ص ٤٤٠، ط. المسير.

فصل الدين عن الدولة بين النظرية والتطبيق

السائل: أ. محمد الكوتاوي

السؤال: لماذا تشكك العلمانية في قدرة الإسلام على إدارة شؤون الحياة المعاصرة؟ وما هو التحدي الذي تواجهه العلمانية إذا لم ينفصل الدين عن السياسة؟ وهل لذلك علاقة بمقولة "الدين لله والوطن للجميع"؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

١ - تشكيك العلمانية في قدرة الإسلام على إدارة شؤون الحياة المعاصرة:

العلمانية، بوصفها نظامًا سياسيًا واجتماعيًا، تسعى إلى فصل الدين عن الدولة وتحديد دوره في الشأن العام. وهي تسلك

سُبلًا عديدةً للتشكيك في قدرة الإسلام على إدارة شؤون الحياة المعاصرة، بدعوى أن الإسلام دينٌ فرديٌّ محضٌ يُعنى بالشؤون الروحية. غير أن الإسلام - بحكم كونه نظامًا شاملاً - يقدم توجيهات وقوانينَ تتعلق بجوانب الحياة كافة، بما في ذلك السياسة والاقتصاد والاجتماع. وهذه الشمولية تجعله في تعارض مع المبادئ العلمانية التي تحصر عمل الدين في الجانب الفردي، وتنفي عنه أي مساهمةٍ في الشأن العام.

٢ - التحدي الذي تواجهه العلمانية إذا لم ينفصل الدين عن السياسة:

تواجه العلمانية تحديًا كبيرًا في فصل الدين عن السياسة، لا سيما في المجتمعات الإسلامية، ذلك أن الإسلام يقدم رؤيةً حضارية شاملة تتضمن تنظيم المجتمع والدولة على أسسٍ دينية، وإذا تمسك المسلمون بهذه الرؤية، فإن العلمانية ستجد صعوبةً في فرض رؤيتها على مجتمعٍ متمسكٍ بإسلامه. في هذا السياق، تسعى العلمانية إلى إضعاف الثقة في قدرة الإسلام على إدارة شؤون الحياة المعاصرة، وذلك بالترويج لأفكارٍ تشكك في صلاحية المشروع الإسلامي وتقديمه على أنه غير متلائم مع متطلبات العصر، ويتجلى ذلك في العديد من الأطروحات الفكرية والنقاشات التي تدور في الأوساط العلمانية داخل المجتمعات الإسلامية.

٣ - علاقة مقولة "الدين لله والوطن للجميع" بالعلمانية:

تعكس مقولة "الدين لله والوطن للجميع" جوهر المشروع العلماني الساعي إلى فصل الدين عن الدولة، فتلخص هذه العبارة الفكرة القائلة بأن الدين شأن فردي بين الإنسان وربه، ولا ينبغي أن يتدخل في الشأن العام والسياسي، وبذلك، تعبّر المقولة عن رؤية علمانية تسعى إلى تقليص أثر الدين في الحياة العامة، معتبرة الوطن ملكاً مشتركاً للجميع بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

النقطة المحورية:

تتمثل النقطة المحورية في الصراع بين العلمانية والإسلام في أنّ الإسلام يقدّم نظاماً شاملاً لإدارة شؤون الحياة، على عكس العديد من الأديان الأخرى. فيشمل هذا النظام جوانب الحياة كافة، من الروحية إلى الاجتماعية والسياسية، مما يضعه في مواجهة مباشرة مع العلمانية التي تسعى إلى حصر الدين في الجانب الروحي الفردي. فإذا لم يُفصل الدين عن السياسة، فإن العلمانية لن تجد موطئ قدم لها، مما يدفعها إلى تكثيف جهودها لتشكيك المسلمين في قدرة الإسلام على مواكبة متطلبات العصر.

وبالمجمل، تشكك العلمانية في قدرة الإسلام على إدارة شؤون الحياة المعاصرة، معتبرة إياه نظاماً شاملاً يتعارض مع مبادئها. فإذا

لم ينفصل الدين عن السياسة ستواجه العلمانية تحديًا كبيرًا يتمثل في صعوبة فرض رؤيتها على مجتمع متمسك بالإسلام على أنه نظامٌ شاملٌ. وتلخص مقولة "الدين لله والوطن للجميع" الرؤية العلمانية التي تسعى إلى فصل الدين عن الحياة العامة، وتقليص أثره في الشؤون السياسية والاجتماعية لصالح نظام علماني يدير شؤون الدولة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



أسطورة اختفاء الإمام المهدي المنتظر في السرداب

المستشكل: ناصر السلف

الاستشكال: يعتقد الشيعة بأنَّ المهديَّ المنتظر قد اختفى في السرداب، وينتظرون خروجه منه. وهذه واحدة من الأدلة التي تعكس مستوى تفكيرهم. إضافةً إلى ذلك، فإنَّ فكرة بقاء إنسان على قيد الحياة لأكثر من ألف سنة غير منطقية، ولا يمكن الاستدلال عليها بحياة الخضر عليه السلام؛ لأن الدليل دَلَّ على وفاته، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "رحم الله أخى الخضر، لو كان حيًّا لزارني".

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصايح الظلام، وهُدَاة الأنام.

ثمة مقولة شهيرة تُنسبُ إلى وزير الدعاية النازي جوزيف غوبلز، "اكذب اكذب حتى يصدقك الآخرون" .. والغاية منها تحريف الحقائق.

إِنَّ علماء أهل السُّنة هم أولُ مَنْ ادَّعوا أَنَّ الشيعة تعتقد بأنَّ المهدي اختفى في السرداب، وأنهم ينتظرون خروجه منه، حيث حدّدوا هذه الحادثة في كتبهم بالسنة ٢٦٦ أو ٢٦٥ هـ. والمضحك المُبكي في آنٍ واحد أنهم نظّموا في ذلك أشعاراً استهجنوا فيها هذا الاعتقاد الذي نسبوه إلى الشيعة زوراً وبهتاناً، فأنشد بعضهم: «ما آن للسرداب أن يلدَ الذي... كلّمْتُموه بجهلِكم ما آنا»^(١).

ومن اللافت للنظر أن نجد علماء أهل السُّنة، أمثال ابن الجوزي (ت ٥٩٦ هـ)، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، وابن خَلِّكان (ت ٦٨١ هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، وغيرهم، قد ذكروا هذه الحكاية الأسطورية في مؤلّفاتهم، مما يشير بوضوح إلى أن أصل هذه الفكرة يعود إليهم، ونشأت في أوساطهم، رغم افتقارها لأيّ سندٍ تاريخي أو روائي، فنُسبت زوراً إلى الشيعة، وكذبوا عليهم حتى صدّقها مَنْ صدّقها، فصيّروها جزءاً من العقيدة الشيعية، في حين لم نجد واحداً من علماء الشيعة، ممّن عاش قبل تلك التواريخ، يذكر هذه الحكاية المكذوبة، فلم يذكر الطوسي - المتوفى سنة (٤٦٠ هـ) في أيّ من مؤلفاته - مثل هذه الحكاية التي تُشبه في طابعها حكايات العنقاء أو الغول، مما يؤكّد زيفها وبُعدها عن المعتقد الشيعي الأصيل، ويعزّز فرضية أنها رواية مفبركة، ويبدو أن هؤلاء العلماء لجأوا إلى أسلوب التشهير والاتّهام الكاذب، عندما عجزوا عن تقديم أي دليلٍ على صحة ادّعاءاتهم.

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ص ١٥٢.

غير أنَّ عقيدة الشيعة واضحةٌ في أنَّ أولَ ظهورٍ للإمام سيكون في مكة المكرمة، حيث يُباع له بين الركن والمقام، ثم ينتقل إلى المدينة المنورة، وصولاً إلى العراق حيث يكون مقرُّه الكوفة، وجاء في هامش كتاب "الإلهيات": «وأما ما يلهج به بعض النواصب الأعداء، من أنَّ الشيعة تذهب إلى غيبته في السرداب في سامراء، فهو من الأكاذيب التي ليس لها أصل أبداً، لا في الكتب، ولا في صدور العوامِّ، وإنَّما افتعلوه ازدراءً بالعقيدة»^(١).

وبالنتيجة، فإن القول بأن الإمام المنتظر اختفى في السرداب سنة ٢٦٦ أو ٢٦٥ هـ، والشيعة إلى اليوم ينتظرون خروجه منه، هو ادّعاء باطلٌ لا أساس له من الصحة، وقد رُوِّجَ له من قِبَل بعض علماء السنة بهدف تشويه صورة الشيعة، صحيحٌ أنَّ بعض الكتب الشيعة المتأخرة ذكرت مسألة السرداب، إلا أنها كانت في سياق التذكير بغيبة الإمام، وليس في سياق تحديد مكان وجوده وخروجه.

وأما الاستدلال بالحديث: (رحمَ الله أخي الخضر، لو كان حيًّا لزارني)، على وفاة الخضر عليه السلام، فالجواب على ذلك هو:

جاء في كتاب "المقاصد الحسنة"، أن هذا ليس حديثاً، وإنما هو من كلام السلف ممَّن ينكر حياة الخضر، قال العلامة السخاوي: «قال شيخنا: لا يثبت مرفوعاً، وإنما هو من كلام بعض

(١) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، للشيخ السبحاني، ج ٤، ص ١٣٤.

السلف، ممن أنكر حياة الخضر»^(١).

ونجد ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"، قد رجّح حياة الخضر، ونافح عن ذلك بشدة، وانتقد من يقول بموته^(٢).

وذهب ابن الصلاح، والسهيلي، والنووي، والقرطبي، إلى القول بحياة الخضر وأنه الرجل الذي يقتله الدجال، وقال القرطبي: إنه قول الجمهور^(٣).

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: «هو حيٌّ عند جمهور العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك»^(٤).

وقال الفيروزآبادي في "البصائر": «واختلف العلماء في حياة الخضر وفي نبوته، فقال الأكثرون: هو حيٌّ موجود بين أظهرنا»^(٥).

وقال المقدسي في كتابه "فتح الرحمن": «واختلف في حياة الخضر، فكثيرٌ من العلماء ذهب إلى أنه حيٌّ، وهو يصلي الجمعة في خمسة مساجد: في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد قباء، ومسجد الطور، في كل مسجد جمعة»^(٦).

(١) المقاصد الحسنة، للسخاوي، ص ٣٦٣.

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٣) يُنظر: تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٧٦؛ تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٤٨.

(٤) شرح النووي، ج ٥، ص ١٣٦؛ فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٨.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ج ٦، ص ٧٦.

(٦) فتح الرحمن في تفسير القرآن، للمقدسي، ج ٤، ص ٢٠٩.

ونقل ابن حجر الهيتمي قول "اليافعي" في "الفتاوى الحديثية"، أنه قال: «... وما ذكرته من حياة الخضر هو الذي قطع به الأولياء، ورجَّحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين، وقد اجتمع به، وأخبر عنه مَنْ لا يُحصى من الصديقين والأولياء في كلِّ زمانٍ، بل والله لقد أخبروني أنه اجتمع بي، وسألني عن شيءٍ، فأجبتُه، ولم أعرفه؛ لأنه لم يعرفه إلا صاحب استعدادٍ ممَّن شاء الله، ومبالغةُ ابن الجوزي في إنكار حياته غُلُوٌّ منه؛ إذ هو إنكارٌ للشمس، وليس دونها حجاب، بل كلامه فيه متناقض...»^(١).

وقال الملا على القاري في "المرقاة": «قال البغوي في معالم التنزيل: أربعةٌ من الأنبياء في الحياة، اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: عيسى وإدريس عليهم الصلاة والسلام»^(٢).

إذاً، لا استحالة في طول حياة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فإنه قد عمَّر كثيرٌ من الناس حتى جاوزوا الألف، ومنهم الخضر عليه السلام.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي، ص ٢٣٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، ج ٨، ص ٣٤٩٨.

هل تزوج النبي داود بامرأة أوريا بعد قتله؟

السائل: أحمد ناجي

السؤال: هل يمكن لأحد مراجع الشيعة توضيح الرواية الصحيحة السند الواردة في تفسير القمي (ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٢) التي تُسيء إلى نبي الله داود، حيث تتحدث عن علاقته بامرأة متزوجة وعشقه لها وقتل زوجها ليتزوجها.. هل يمكن الجواب بشرط عدم القول: إن الرواية تقية؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

ليس كلُّ ما صحَّ سنده يكون مثنه صحيحًا، ولا يُقبل خبر الواحد الذي ينافي حكم العقل وحكم القرآن الثابتين، فالرواية الحجة عند الشيعة الإمامية يُشترط فيها أن تكون صحيحة السند، وأن لا تخالف القرآن الكريم ولا العقل القطعي ولا الحقائق العلمية

الثابتة، وأن لا تخالف المسلّمات في الشريعة ولا ثوابت المذهب، وأن لا تكون صادرة عن طريق التقية، وأن لا تكون معارضة لرواية أخرى من الروايات الصحيحة عندنا، وإذا كان هناك تعارضٌ بينها وبين روايةٍ أخرى فيُنظر فيه هل هو تعارضٌ من النوع المستقرّ أو غير المستقرّ؟ وإذا كان من النوع غير المستقر فهل يمكن الجمعُ بينهما جمعًا عرفيًا أو لا؟ وإذا كان من المستقر فهل توجد له مرجحات في المقام أو لا؟

ثمّ إنه لا يحقُّ لمن يحتجُّ على الشيعة بمروياتهم أن يشترط عليهم عدم الحكم على تلك الروايات وتحديد ما إذا كانت صادرة عن طريق التقية أم لا؛ لأن ذلك أمرٌ مستنكرٌ في باب التحاور والمناظرة، هذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر، فإن كتاب التفسير الذي وردت فيه تلك القصة المسيئة لمقام النبوة، إنما هو منسوبٌ إلى القمي نتيجةً لعملية تلفيقٍ جمعت بين إملاءاته مع تفسير أبي الجارود وروايات أخرى أضافها أبو الفضل عباس بن محمد العلوي، فقد قال العلامة الشيخ "محمد هادي معرفة"، في كتابه "صيانة القرآن من التحريف": «تقدّم أنّ هذا التفسير منسوبٌ إليه من غير أن يكون من صنعه، وإنما هو تلفيقٌ من إملاءاته على تلميذه أبي الفضل عباس بن محمد العلوي، وقسط وافر من تفسير أبي الجارود، ضمّه إليها أبو الفضل، وأكمله برواياتٍ من عنده، وكما وضع له

مقدمة، وأورد فيها مختصراً من رواياتٍ منسوبةٍ إلى أمير المؤمنين عليه السلام في صنوفِ آي القرآن"، وقد يُستدلّ على ذلك بأدلةٍ، أهمّها:

أ- أن إسناده ما ورد فيه ساقطٌ عن الحُجّةِ، وذلك لوجود المجاهيل فيه، كأبي الفضل عباس بن محمد العلوي، وغيره.

ب- وجود بعض العبارات في الكتاب تدلّ على نسبته إليه، كقوله: "رجع إلى تفسير علي بن إبراهيم"، "رجع إلى رواية علي بن إبراهيم"، "رجع إلى حديث علي بن إبراهيم"، وغيرها.

وعليه، فإنّ النتيجة أنّ التفسير الموجود هو خليطٌ من تفسير القمّي وغيره، ولا يمكن التمييز في ذلك^(١).

أما القصة التي تذكر أنّ النبيّ داود عليه السلام كان يهوى امرأةً متزوجةً، فقتل زوجها ليتزوَّجها، فقد روّتها المصاדרُ السُّنية قبل أن يروّيها التفسير المنسوب إلى القمي، فقد روى ابن أبي شيبه في "المصنف"، عن ابن عباس «أن داود حدّث نفسه إن ابتلى أن يعتصم، ف قيل له: إنك ستبتلى، وتعلم اليوم الذي تُبتلى فيه، فخذ حذرَكَ، ف قيل له: هذا اليوم الذي تُبتلى فيه، فأخذ الزبورَ، فوضعه في حجره، وأغلق بابَ المحراب، وأقعدَ منصفاً على الباب، وقال: لا تأذن لأحدٍ عليّ اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائرٌ مذهبٌ كأحسن ما يكون الطير، فيه من كل لونٍ، فجعل يدرج بين

(١) صيانة القرآن من التحريف، للشيخ محمد هادي معرفة، ص ١٨٧-١٨٨.

يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فتناول به يده ليأخذه، فاستوفزه من خلفه، فأطبق الزبور، وقام إليه ليأخذه، فطار، فوق على كوة المحراب، فدنا منه أيضًا ليأخذه، فوق على حُصٍّ، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بالمرأة عند بركتها تغتسل من المحيض، فلما رأت ظلّه حرّكت رأسها، فغطّت جسدها بشعرها، فقال داود للمنصف: اذهب فقلّ لفلانة تجيء، فأتاها فقال لها: إنّ نبي الله يدعوك، فقالت: مالي ولنبي الله؟ إن كانت له حاجة فليأتني، أما أنا فلا آتيه، فأتاه المنصف، فأخبره بقولها، فأتاها، وأغلقت الباب دونه، فقالت: مالك يا داود؟ أما تعلم أنه من فعل هذا رجمتموها، ووعظته، فرجع، وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود عليه السلام إلى أمير المغزى: انظر "أوريا" فاجعله في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم وإما أن يُقتلوا، فقدّمه في حملة التابوت، فقتل، فلما انقضت عدّتها خطبها»^(١).

وروى نحوه الطبري في تفسيره^(٢)، وراواه -أيضًا- ابن الأعرابي في معجمه^(٣). ونحوهم رواه البغوي في تفسيره^(٤).

وجاء في "البدء والتاريخ": «واختلفوا في سبب خطيئته، فالمعروف عند أصحاب الأخبار وأهل الكتاب ورواية الأوزاعي

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ١٧، ص ٥٢٧، ت. الشري.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢١، ص ١٨٥، ط. دار التربية والتراث.

(٣) معجم ابن الأعرابي، ج ١، ص ٧٨.

(٤) تفسير البغوي، ج ٧، ص ٧٨، ط. طيبة.

عن يحيى بن أبي كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أشرف، فرأى امرأة، ف وقعت في قلبه، فبعث زوجها في مَنْ بعث في الحرب حتى استشهد، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها، فولدت له، واسم المرأة بتشبع، واسم زوجها أوريا»^(١).

وكثيرون غيرهم من علماء أهل السنة ممن ذكروا هذه القصة المشينة أو زادوا عليها، ففي "أحكام القرآن" للجصاص، رغم أنه أنكر تلك القصة، لكنه ذكر ما لا يقل إساءةً عن تلك القصة، حيث قال: «إن أوريا بن حنان لم تكن له امرأة، وقد خطب امرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا خطبها، وتزوجها. وكان فيه شيان مما سبيل الأنبياء التنزه عنه: أحدهما: خطبته على خطبة غيره، والثاني: إظهار الحرص على التزويج مع كثرة مَنْ عنده من النساء، ولم يكن عنده أن ذلك معصية، فعاتبه الله تعالى عليها...»^(٢).

وأكد العلامة الطباطبائي في "الميزان"، أن القصة مأخوذة من التوراة^(٣).

وفي "عيون أخبار الرضا" في باب مجلس الرضا عند المأمون مع أصحاب الملل والمقالات، قال الإمام الرضا عليه السلام لابن جهم: «وأما داود فما يقول مَنْ قبلكم فيه؟ قال: يقولون: إن داود كان يصلي في محرابه إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما

(١) البدء والتاريخ، ج ٣، ص ١٠١.

(٢) أحكام القرآن، للجصاص، ج ٣، ص ٤٩٩، ط. العلمية.

(٣) تفسير الميزان، للطباطبائي، ج ١٧، ص ٢٠٠.

يكون من الطيور، فقطع داود صلاته، وقام يأخذ الطير إلى الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حيان. فاطلع داود في أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغسل، فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قَدِّم أوريا أمام التابوت، فقُدِّم، فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قَدِّمه أمام التابوت، فقُدِّم، فقتل أوريا، وتزوج داود بامرأته.

قال: فضرب الرضا عليه السلام يده على جبهته، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل.

فقال: يا ابن رسول الله ما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إن داود عليه السلام إنما ظن أنه ما خلق الله خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين، فتسوّرا المحراب، فقال: خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فقال أكفلنيها، وعزّني في الخطاب، فعجل داود على المدّعي عليه، فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، ولم يسأل المدّعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدّعي عليه، فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

الأرض، فاحكم بين الناس بالحق ﴿١﴾ إلى آخر الآية.

فقال: يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا؟ قال الرضا عليه السلام:
إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قُتل لا تتزوج بعده
أبدًا، فأول من أباح الله عز وجل له أن يتزوج بامرأة قُتل بعلها
داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل، وانقضت عدتها، فذلك
الذي شق على الناس من قتل أوريا»^(١).

وفي "أمالي الصدوق" بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال
لعلقة: «إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تُضبط، ألم ينسبوا
داود عليه السلام إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا، فهاها،
وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قُتل ثم تزوج بها الحديث...
وأما ما تضمّنته غالب الروايات من قصة أوريا وامراته فهو مما
يجلُّ عنه الأنبياء، ويتنزّه عنه ساحتهم»^(٢).

قال المرتضى رحمته الله في "نفائس التأويل": «فأما من زعم أنّه
عرّض أوريا للقتل، وقدمه أمام التابوت عمدًا حتى يُقتل، فقوله
أوضح فسادًا من أن يُتشاغل برده. وقد روي عن أمير المؤمنين
عليه السلام أنه قال: لا أوتى برجل يزعم أنّ داود عليه السلام تزوّج بامرأة أوريا
إلا جلّده حدّين، حدًّا للنبوّة وحدًّا للإسلام»^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) الأمالي، للشيخ الصدوق، ص ١٦٤.

(٣) نفائس التأويل، للشريف المرتضى، ج ٣، ص ٢٦٤.

وقال الشيخ الطوسي رحمته الله في تفسيره: «فأما ما يقول بعض الجهّال من القصّاص أن داود عشق امرأة أوريا، وأنه أمره بأن يخرج إلى الغزو، وأن يتقدّم أمام التابوت، وكان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب أو يقتل، فخبّر باطل موضوع، وهو مع ذلك خبر واحد لا أصل له، ولا يجوز أن تُقبل أخبار الآحاد في ما يتضمّن في الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس، فإنّ الله نزههم عن هذه المنزلة، وأعلى قدرهم عنها»^(١).

ويتلخّص مما تقدم أنّ القصة المتداولة حول النبي داود عليه السلام وأوريا، والتي تزعم أن النبي داود قتل أوريا زوج المرأة التي أراد الزواج بها، هي قصة مكذوبةٌ لا أساس لها من الصحة. وقد أكد علماء الشيعة الإمامية أنّ أصل هذه القصة يعود إلى التوراة، وأنّ التفسير المنسوب إلى القميّ والذي وردت فيه هذه الرواية هو في الحقيقة تلفيقٌ لروايات مختلفة ومختلقة. ولا تقتصر رواية هذه القصة على التفسير المذكور، بل وردت أيضًا في مصادر سنية عديدة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي، ج ٨، ص ٥٥٤.

الإلحاد والحرية الجنسية في الفكر الليبرالي

السائل: عابر سبيل

السؤال: في الفلسفة الليبرالية، ليس للإلحاد والحرية الجنسية تأثيرٌ على السَّلم المجتمعي.. فما تحليلُكم لهذا الرأي؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

الأخلاقُ ليست مجردَ مجموعةٍ من القيم الفردية؛ بل هي القوة التي تشكِّلُ بنية المجتمع، وتعزِّز التماسك بين أفرادهِ. والأخلاقُ تمنح المجتمعَ هويةً وقوةً تربط بين الأفراد، وتضمَّن استقرارَهُم.

إذا، لا يمكن الحديثُ عن السَّلم المجتمعي بجدِّيةٍ دون إدراك أثر الأخلاق في أنها عنصرٌ رئيسٌ يضمَّن التوازن والانسجام بين

أفراد المجتمع.

والليبرالية فلسفةٌ تركّز على حرية الفرد وتحقيق المنفعة الشخصية في أنها أولويةٌ، هذا التركيز على المصالح الفردية قد يتجاهل أو يقلّل من قيمة الاعتبارات الأخلاقية التي تتجاوز المنفعة الشخصية.

وترى الليبرالية أنّ الإنسان بنحوٍ رئيسٍ كائنٌ أنانيٌّ وبراغماتيٌّ، مما يعني أنّ الإنسان يتصرف بناءً على مصالحه الشخصية بدون اعتبارٍ للقيم الأخلاقية أو الجماعية، وهذا التقدير للإنسان يتناقض مع فكرة أنّ الإنسان يجب أن يكون مقيماً بناءً على قيمٍ أخلاقية تجسّد الاحترام والتعاون بين أفراد المجتمع.

وبسبب تركيز الليبرالية على الفردية والمصلحة الذاتية، فهي تواجه صعوبةً في تبرير قدرتها على بناء مجتمعٍ متماسكٍ؛ لأنّ القيم الأخلاقية التي تعزّز التعاون والاحترام غير حاضرة، فيصبح من الصعب تحقيق التماسك الاجتماعي واستقرار العلاقات بين أفراد المجتمع.

ولفهم الحياة الإنسانية بنحوٍ كامل، فمن الضروري النظر إلى الإنسان، ليس فقط على أنه كائنٌ يبحث عن مصلحته الخاصة، ولكن على أنه كائنٌ ذو قيمة أخلاقية تتجاوز الأنانية، وهذا يعني أنّ هناك حاجة لمبادئ أخلاقية تتجاوز المصلحة الفردية لضمان

وجود علاقةٍ متماسكةٍ ومستدامةٍ بين الأفراد في المجتمع.

والسّلم المجتمعي يعتمد على وجود مبادئ أخلاقية ثابتة تضمّن التوازن بين الأفراد؛ لأن الأخلاق توفر الأساس الذي يُبنى عليه السّلم المجتمعي، حيث تضمن حقوق الأفراد، وتفرض احترام القيم الجماعية.

وبما أن الليبرالية لا تعتمد على مبادئ أخلاقية ثابتة، فهي غير قادرة على تقديم إطار ثابت يضمن السّلم المجتمعي، مما يجعل الأديان ذات قيمةٍ ضرورية؛ لأنها توفر إطاراً أخلاقياً يحترم الإنسان، ويضمن التزام الأفراد بالقيم الأخلاقية التي تُساهم في تحقيق السّلم المجتمعي والتماسك، فالأديان تقدّم مبادئ واضحة تحترم الإنسان، وتعزّز الروابط الاجتماعية بقيم أخلاقية مشتركة.

ويتلخّص مما تقدّم أنّ الأخلاق تساهم بقوةٍ في تحقيق السّلم المجتمعي، حيث تشكّل أساساً للتوازن والتماسك بين أفراد المجتمع، إذ تُعدّ الأخلاقُ القوة التي تمنح المجتمع هويته، وتساعد على الحفاظ على استقراره، بينما تؤكّد الفلسفةُ الليبراليةُ على الفردية والمصلحة الذاتية، مما يؤدي إلى تجاهل قيمة المبادئ الأخلاقية أو التقليل منها، فإنها تواجه صعوبة في تقديم إطار يضمن السّلم المجتمعي المستدام. في هذا السياق، تقدّم الأديان إطاراً أخلاقياً يؤسّس مبادئ واضحة تحترم الإنسان، وتعزّز التماسك الاجتماعي بقيم المشتركة.

النتيجة:

تفتقر الليبرالية إلى الأساس الأخلاقي الذي يضمن استقرار السّلم المجتمعي، حيث تركّز على المنفعة الفردية، وتعدُّ الإلحاد والحرية الجنسية غير مؤثّرين على السّلم المجتمعي، فهذا النقص في المبادئ الأخلاقية يجعل من الصعب بناء مجتمع متماسك ومستدام، وبالمقابل، توفّر الأديان إطاراً أخلاقياً يحترم الإنسان، ويعزّز الروابط الاجتماعية، مما يجعلها أكثر قدرة على ضمان السلم المجتمعي والتماسك.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



أحاديث اعتقد أهل السنة موجبها، ولم يرد لها ذكر في الصحيحين

السائل: الشيخ ماجد الوائلي

السؤال: أثناء حوار مع بعض إخواننا من أهل السنة حول المهدي المنتظر عليه السلام، أشاروا إلى عدم ورود أحاديث صريحة في صحيح مسلم، برغم تقديمي لأحاديث أخرى ثبت هذا الاعتقاد، إلا أنهم ما زالوا مترددين، والسؤال لحضراتكم: كيف يمكنني توضيح أن الأدلة على وجود المهدي عليه السلام لا تقتصر على صحيح مسلم فقط؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنعام.

إن العديد من علماء أهل السنة والجماعة، منهم محمد بن الحسين الأبري، وابن قيّم الجوزية، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي، والسيوطي، قد صرّحوا بتواتر الأحاديث الواردة في ذكر المهدي المنتظر عليه السلام.

وبناءً على ذلك، تُعدّ عقيدة المهديّ المنتظر عليه السلام من عقائد أهل السنة والجماعة، كما أكّد ذلك السفاريني والشوكاني وصدّيق بن حسن وغيرهم.

ومن ادّعى أنّ مسلماً لم يُخرج أحاديث تصرّح بذكر المهديّ عليه السلام في صحيحه، فقد اعتمد على نُسخ مُحرّفة حُذفت منها تلك الأحاديث، بدليل أنّ خمسةً من أعلام أهل السنة قد أخرجوا حديث "المهديّ من عترتي من ولد فاطمة" في مصنّفاتهم، وأشاروا إلى وجوده في صحيح مسلم، وهم:

ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)، قال في "الصواعق المحرقة": «ومن ذلك ما أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، وآخرون: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة"»^(١).

وهكذا عزاه المتّقّي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، في "كنز العمال"، إلى صحيح مسلم^(٢).

وأفرد الشيخ محمد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٦هـ)، في كتابه "إسعاف الراغبين"، فصلاً في بيان المزايا التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكر فيه كثيراً من مزاياهم، إلى أن قال: «ومنها: أن منهم مهديّ آخر الزمان. أخرج مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه،

(١) الصواعق المحرقة، لابن حجر المكي، ج ٢، ص ٤٧٢.

(٢) كنز العمال، للمتّقّي الهندي، ج ١٤، ص ٢٦٤.

والبيهقي وآخرون: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة" ^(١).

ونحوهم قال القندوزي (ت ١٢٧٠ هـ)، في "ينابيع المودة":
«أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي،
وصاحب المصابيح، وآخرون» ^(٢).

وعزاه - أيضاً - الشيخ حسن العدويّ الحمزاوي المالكي
(ت ١٣٠٣ هـ) في "مشارق الأنوار"، إلى صحيح مسلم، فقال: «وهو
من ولد فاطمة باتفاق الجمهور، ففي مسلم وأبي داود والنسائي وابن
ماجه والبيهقي وآخرين: المهدي من عترتي من ولد فاطمة» ^(٣).

وعلى فرض إنَّ الأحاديث الواردة في شأن الإمام المهدي عليه السلام
وإن لم ترد في الصحيحين بالتفصيل الذي جاء في غيرها، فذلك لا
يقدر في صحتها ودالاتها؛ لكونها قد ثبتت في غيرهما، ومعلوم أن
غير الصحيحين من السنن والمسانيد والأجزاء الحديثية فيها الصّحاح
والحسن والضعاف، وعلماء الحديث قد قبلوها، واحتجّوا بها،
واعتقدوا بموجبها، وكُتِبَ الأصول والفروع مملوءة من الأحاديث
الصحيحة الواردة في غير الصحيحين للاستدلال بها والاستناد إلى
دالاتها في الأحكام الشرعية والعمل بموجبها، وأرى أن أستعرض
بعض الأحاديث التي وردت في السنن والمسانيد وغيرها التي يستدل

(١) إسعاف الراغبين، لابن الصبان، ص ٤٥.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٣، ص ٢٦١.

(٣) مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار، للحمزاوي، ص ١٨٦، ط. القاهرة. (النسخة
الحجرية).

بها أهل السنة في كتبهم العقديّة على نحو التمثيل:

١ - الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة، الذي يعتقد أهل السنة موجب، فإنّه واردٌ في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره، ولم يرد له ذكرٌ في الصحيحين.

٢ - الحديث الدالُّ على أَنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِن طَائِرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، لم يرد في الصحيحين، وقد اعتقد الناس موجب، واستدلوا به، وأوردّه شارحُ الطحاوية وغيره، وقد أورده ابنُ كثير في تفسيره لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: « وقد رويناه في مسند الإمام أحمد بن حنبل حديثاً فيه البشارة لكلِّ مؤمن بأن روحه تكون في الجنة، تسرح فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعدَّ الله لها من الكرامة، وهو بإسنادٍ صحيحٍ عزيزٍ عظيم، اجتمع فيه ثلاثةٌ من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإنَّ الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك بن أنس الأصبحي، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله: "نَسَمَةُ الْمُؤْمِن طَائِرٌ يعلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ" ^(١).

٣ - حديث البراء بن عازب الطويل في نعيم القبر وعذابه الذي وُصف فيه الرسول ما يجري عند الموت حتى البعث، وهو في مسند الإمام أحمد وغيره، ولبعضه شواهد في الصحيح، وقد

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ١٦٤، ت. السلامة.

أورده شارح الطحاوية، وقال عقب إيراده: «وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث»^(١).

وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين السائلين في القبر بمنكر ونكير لم يرد في الصحيحين، وقد اعتقد موجب أهل السنة، وأورده شارح الطحاوية مستدلًا به^(٢).

٤ - الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره الدال على وزن الأعمال، وهو حديث البطاقة والسجلات لم يرد في الصحيحين، واعتقد أهل السنة موجب، وأورده شارح الطحاوية للاستدلال به على أن ميزان الأعمال له كفتان، وعلى وزن صحائف الأعمال، ولا يتسع المقام لإيراد الكثير من الأمثلة في ذلك، فأكتفي بهذا القدر^(٣).

ويتلخص لنا مما تقدم:

أن صحة الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي عليه السلام لا تتوقف حصراً على ورودها في كتابي الصحيحين (البخاري ومسلم)، فالأحاديث الواردة في السنن والمسانيد والأجزاء الحديثية الأخرى، وإن لم تكن موجودة في الصحيحين، تُقبل ويحتجُّ بها علماء الحديث، ويعتمدون عليها في الأحكام الشرعية، ويعملون بموجبها، فعلى سبيل المثال، حديث "العشرة المبشرين بالجنة"، على الرغم

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ج ٢، ص ٥٧٦، تـ. الأرناؤوط.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٥٧٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٤٦٥.

من عدم وروده في الصحيحين، إلا أن أهل السنة يعتقدون بصحته.
وكذلك حديث "نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ كَطَائِرٍ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ"، مع أنه لم يرد في الصحيحين، إلا أن علماء الحديث استدّلوا به، واعتقدوا بموجبه.
وأيضًا حديث البراء بن عازب في نعيم القبر وعذابه، وأحاديثُ أخرى مشابهة في مضمونها، لم ترد في الصحيحين، لكنَّ أهل السنة يعتقدون بصحتها، ويستدلّون بها.

وعليه، ما دامت الأحاديث قد ثبتت صحتها من مصادر موثوقة أخرى، فإنه ينبغي الالتزام بها والعمل بموجبها، سواء وردت في الصحيحين أو غيرهما، وهذا يشمل الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



تبعات الاعتقاد بأن "البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله"

السائل: السيد علي البعاج

السؤال: ما الرد المناسب على المخالفين في دعواهم أن البخاري ومسلم أصح كتابين بعد كتاب الله؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

كان لمقولة اعتبار الصحيحين أصح الكتب بعد كتاب الله، تأثيرٌ كبير على عقائد علماء أهل السنة، بما في ذلك عامة الناس، مما جعلهم يواجهون صعوبةً في التعامل مع الأحاديث النبوية التي لم ترد في الصحيحين، ممّا أدّى إلى تناقضات في قبولهم ورفضهم لها والعمل بها، كيف يمكن لمقولة مُختلقة أن تحدّد صحة أحاديث النبي ﷺ أو ضعفها، وتُهمل بذلك المعايير العلمية والقواعد المنطقية التي وضعها العلماء لتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها؟!!

فوجد مثلاً من كبار علمائهم النووي في شرح مسلم، يقول: «اتَّفَقَ العلماء رحمهم الله على أَنَّ أَصَحَّ الْكُتُبِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ الصَّحِيحَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَتَلَقَّيْتُهُمَا الْأُمَّةَ بِالْقَبُولِ»^(١).

وابن الملقن في الإعلام، يقول: «وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَصَحَّ الْكُتُبِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، وَكِتَابُ الْبُخَارِيِّ أَصَحُّ مِنْهُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَخَالَفَ أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيُّ، فَقَالَ: مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ شُيُوخِ الْمَغْرِبِ»^(٢).

وإذا ما بحثنا عن أصل هذه المقولة، سنجد روايتين مختلفتين في الدافع إلى تأليف البخاري صحيحه، ففي الرواية الأولى، يروي ملا علي القاري في كتابه المرقاة عن البخاري قوله: «قال البخاري: والحامل لي علي تأليفه أنني رأيتني واقفاً بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويدي مروحة أذب عنه، فعبر لي بأني أذب عنه الكذب»^(٣).

أما في الرواية الثانية، فيقول القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) في كتابه الحِطَّة: «قال البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال لي

(١) شرح النووي على مسلم، ج ١، ص ١٤.

(٢) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملقن، ج ١، ص ١٢٧.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٥٨، تـ. عيتاني، دار الكتب العلمية - ط. الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٩، ط. السابعة، ١٣٢٣ هـ.

بعض أصحابه: لو جمع أحد كتابًا مختصرًا في السنن الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بلغت من الصحة أقصى درجاتها كان أحسن، وتيسر العمل عليه للعاملين من دون مراجعة إلى المجتهدين، قال: فوق ذلك في قلبي، وأخذ بمجامع خاطري، فصنفت هذا الجامع الصحيح^(١).

فالقصة في الرواية الأولى رؤية البخاري لنفسه في المنام واقفًا بين يدي النبي ﷺ وهو يذبُّ عنه الكذب. فعَدَّ البخاري هذا المنام بمثابة حثٍّ إلهيٍّ له على تأليف كتاب يذبُّ فيه عن السُّنة النبوية من الأحاديث الموضوعة.

وأما القصة في الرواية الثانية فهي أنَّ البخاري سمع اقتراح أحد أصحاب إسحاق بن راهويه بتأليف كتابٍ مختصرٍ يضمُّ الأحاديث الصحيحة، فانتاب البخاريَّ شعورٌ بقيمة جمع الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد تيسيرًا على العاملين بها.

ومن هذا التناقض بين الروائتين حول الدافع إلى تأليف البخاري لصحيحه، يتضح أنَّ مقولة أنَّ صحيحه أصح الكتب بعد كتاب الله لا أساس لها. وسنأتي على ذكر ما يكذبُ القصة الأولى، مثل اعتقاد البخاري بصحة حديث أنَّ المعوذتين ليستا من القرآن، وغيرها من الأمور التي نقدها كثيرٌ من علماء أهل السُّنة، وعدّوا بعضها مخالفات شرعية تقرّر تحريف القرآن، وتبثُّ عقيدة

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة، للقنوجي، ص ١٧٨، ط. الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

التشبيه والتجسيم والإساءة إلى مقام النبوة.

ومن هنا أيضًا يُعلم أنه لم يدَّع البخاري ولا مسلم أن كتابيهما أصح الكتب بعد كتاب الله، وإنَّ هذه المقولة أطلقها بعض العلماء، وصدَّقها العامة من أهل السنة والجماعة، ولم يخطر ببالهما أنَّ العلماء من بعدهما سيزعمون أنَّ كتابيهما أصحَّ الكتب بعد القرآن.

ورغم الأساس المتناقض، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستمرار على تصديق الكذبة، فتسابق القوم فيما بينهم كلٌّ ينسب البخاري إلى مذهبه، فنسب بعضهم البخاري إلى مذهبه، قال محمد أنور الكشميري: «وأما مذهب أرباب الستة الصحاح فقليل: إن البخاري شافعي؛ لأنه تلميذ الحميدي، وهو تلميذ الشافعي»^(١).

وقد كان للمذهب الحنبلي والشافعي نفوذًا كبيرًا في الدراسات الحديثية والفقهية في قلب الشرق الإسلامي - الحجاز والعراق ومصر والشام - في تلك الفترة، وكان أتباع المذاهب الأخرى ينهلون من علمهم، ويعتمدون على كتبهم في علمي المصطلح والأصول، فلا جرم أن تشيع دعوى "أصح الكتب بعد كتاب الله: الصحيحان البخاري ومسلم"!!

ومن هنا أكاد أجزم أنَّ واضح هذه المقولة المضللة هو شافعي

(١) العرف الشذي شرح سنن الترمذي، للكشميري، ج ١، ص ٣٣.

متعصّب لمذهبه، وجد في صحيح البخاري خير سندٍ لتعصّبه، فلم يجد بُدًّا من إطلاق تلك المقولة العجيبة عليه.

وردّا على الشافعية، قام الحنابلة، فأدرجوا "صحيح مسلم بن الحجاج الحنبلي" في قائمة أصح الكتب بعد القرآن الكريم، نافين كون "مسند أحمد" من أصح الكتب.

وأما المالكية فكانوا قديمًا يعتقدون أن "الموطأ" أصح الكتب بعد القرآن الكريم! لكنّ مع انحسار نفوذ مذهبهم، سعوا إلى تعزيزه بتقديم صحيحي البخاري ومسلم على الموطأ، ونشروا هذه العقيدة في إفريقية والمغرب والأندلس، إلا أنّ هذه العقيدة -كما سبق وأن نوّهنا- فاسدة ومضلّلة.

وهكذا دخل الأحناف غمار الصراع، حيث كان فقهاؤهم الأوائل يُجلّون كتاب "الآثار" المنسوب لأبي حنيفة، إلا أن أهل الحديث منهم أعرضوا عنه، واتفقوا على تقديس صحيحي "البخاري ومسلم".

وعلى هذا، غلب الاعتقاد بين جمهور علماء أهل السنة وعامّتهم، بأنّ جميع الأحاديث الواردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم صحيحة، لا شك فيها، وأنها بمنزلة الوحي كالقرآن الكريم، وأنها تُعادل كلام الله تعالى أو تقاربه، ويناهضون بشدة أيّ محاولة للتشكيك في صحة أحاديث البخاري ومسلم، حتى لو

كانت مناقضة لصريح القرآن، مما أدى إلى قبولهم أحاديث مثيرة للجدل، مثل حديث سحر النبي ﷺ^(١)، وحديث خيانة حواء لآدم عليه السلام^(٢)، وحديث محاولة النبي ﷺ الانتحار لفترة الوحي^(٣)، وغيرها.

ويزعمون نسخ أحكام قرآنية بمرويات الشيخين مع أنها معلولة، ويخصّصون بها عموماته، ويقىّدون مطلقاته، ويجعلون أحاديث الشيخين حاكمة مهيمنة على كلام الله تعالى، مما أدى إلى إفساد جُلِّ أحكام الشريعة وتحريف معاني القرآن عن مواضعها، شبيهاً بما فعله الرهبان والأخبار بالتوراة والإنجيل! ونحو ذلك من الأحاديث التي يُثير بعضها شكوكاً حول صحتها، هذا غير الروايات التي تناقض العقل والعلم الصريح، كحديث: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام. ولم يخنز اللحم»^(٤)، قال الألباني: «أي لم يتغيّر، ولم يتنّ، قال العلماء: معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المنّ والسلوى نهّوا عن ادخارهما، فادّخروا، ففسد، وأنتن، واستمر من ذلك الوقت»^(٥)، أي يربط بعض العلماء فساد اللحم بتصرفات بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام دون تفكير منطقي. إلا أن العقل السليم والعلم الصريح يُثبتان عدم صحة هذا

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢١٢؛ صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٩٢.

(٣) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٥٦٢.

(٤) صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٠٩٢.

(٥) مختصر صحيح مسلم، للمنزري، ج ١، ص ٢١٩، ت. الألباني.

الحديث، ويقضيان بكذبه وبطلانه، فمن طبيعة اللحم أن يصبح فاسدًا، ويتعفن منذ خلقه.

وكانت هناك محاولات من العلماء لشرح الحديث وتأويله لرفع التناقض بينه وبين الحقيقة العلمية، إلا أنها لم تُفلح، بل زادت الطين بلة.. ورغم ذلك، تم التسليم بصحتها والاعتقاد بها لمجرد ورودها في الصحيحين، مع أنها أخبار آحاد، وبعضها من الإسرائيليات، وقد أدّى هذا التشدد في قبول أحاديث الشيخين إلى إلحاد بعض المسلمين، وإلى طعن آخرين في مجمل السنة النبوية.

وعليه، يمكن القول: إنّ مقولة "أصح الكتب بعد كتاب الله" نشأت من تعصبٍ مذهبيٍّ، ولم تكن مبنية على أسسٍ علميةٍ قويةٍ، ممّا أدّى إلى مشاكلٍ في فهم وتطبيق الأحاديث النبوية بنحوٍ صحيحٍ.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتتجّبين.



الفرق بين السؤال والتوسل

المستشكل: سلام عبد الله

الاستشكال: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: اسألوني قبل أن تفقدوني.. والآن عليٌّ مات، فكيف تتوسلون به، وهو ميتٌ!!..!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

يُعدُّ الاستشكال المطروح مغالطةً لغويةً واضحةً، تحاول إثارة اللبس والشك لتضليل القارئ، وذلك بالخلط بين معنيين مختلفين في سياق واحد، حيث تعمَّد المستشكل الخلط بين مفهوم "السؤال" الذي يعني (طلب العلم أو الاستفسار)، ومفهوم "التوسل" الذي يعني (طلب الشفاعة باتخاذ وسيلةٍ تُقَرِّب إلى الله تعالى)، حيث استخدم المستشكل عبارة (اسألوني قبل أن تفقدوني) لتبرير عدم جواز التوسل بعليٍّ عليه السلام بعد وفاته بالخلط بين المعنيين، مع أنَّ المقصود في حديث الإمام عليه السلام واضحٌ في

السؤال عن العلم، وليس التوسُّل به.

بيان ذلك هو ما يأتي:

السؤال لغة: ما يسأله الإنسان، وسأله الشيء عن الشيء سؤالاً ومسألة^(١). ويقال: رجلٌ سؤلة كثير السؤال، وسأله الشيء بمعنى استعطيته إياه، وسأله عن الشيء استجزَّته. وسأله عن الشيء استخبرته^(٢). والسؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة^(٣).

أما اصطلاحاً، فقد عرفه العلماء بأنه استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة^(٤)، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها، إمّا بوعيد أو برَد^(٥).

والتوسُّل لغة: التقرب، يقال: توسَّلت إلى الله بالعمل: أي تقرَّبت إليه^(٦).

وفي الاصطلاح هو أن يقدم العبد إلى ربه شيئاً، ليكون

(١) الصحاح، ج ٥، ص ١٧٢٣ مادة "سأل".

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١٢٤؛ وانظر: لسان العرب، ج ٢، ص ١٧٢٨، مادة "سأل"؛ تاج العروس، ج ١٤، ص ٣٢٤ مادة "سأل".

(٣) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٢٤٦.

(٤) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٤٣٧.

(٥) لكليات، للكفوي، ج ١، ص ٥٠١.

(٦) لسان العرب والقاموس المحيط مادة "وسل".

وسيلةً إلى الله تعالى لأن يتقبل دعاءه، ويجيبه إلى ما دعا، وينال مطلوبه^(١).

وقد أوضح بعض علماء أهل السنة قول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»، متأولين إياه بالحث على طلب العلم والمعرفة والاستفسار عن كتاب الله وسنة رسوله، فقد أشار ابن كثير في تفسيره: «وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة، فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنبأتكم بذلك»^(٢).

وقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، في شرح كلام الإمام عليٍّ عليه السلام: "أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السّماء أعلم مني بطرق الأرض": «أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء: سلوني. غير علي بن أبي طالب عليه السلام، ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب، والمراد بقوله: فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدُّول»^(٣).

ومما تقدّم يتّضح أنّ الفرق الأساس بين السؤال والتوسّل يكمن في أنّ الأول يُمثّل طلباً مباشراً للمعلومة أو لشيء ماديّ،

(١) التوسّل مفهومه وأقسامه وحُكمه، للشيخ السبحاني، ص ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٤١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٩٦.

بينما يقومُ الثاني على اتّخاذ وسيلةٍ للتقربِ إلى الله تعالى بهدف تحقيق الاستجابة.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



المهدي المنتظر وعد إلهي وحقيقة واقعية

المستشكل: عباس الحاج
الاستشكال: المهدي فرضية فلسفية تحولت إلى عقيدة راسخة، لا وجود لها في أثر قرآني، وهي خرافة انتقلت من النصاري.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

من السهل أن يدَّعي أيُّ مُدَّعٍ دعوى باطلة، فيروِّجها بين القُرَّاء مستغلاً جهلهم بالمغالطات المنطقية التي يزرعها في كلامه عمداً؛ لذا، نودُّ أن نوَكِّد للقارئ أن الإثبات والنفي يتطلَّبان دليلاً قاطعاً، وإلا، فإن الدعاوى التي لا يستند أصحابها إلى أدلة قاطعة تبقى مجرد ادعاءات عارية عن الصحة.

والخرافة عادةً ما تنتشر في أوساط الفئات الأقلَّ تعليمًا، أما انتشارها بين صفوف العلماء والمثقفين فهو أمرٌ نادرٌ جدًّا، فبين علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم أن هناك

اعتقادًا راسخًا بظهور الإمام المهديّ في آخر الزمان، وإن اختلفوا في تفاصيل نسبه ومولده.. فهل يُعقل أن جميع هؤلاء العلماء - باختلاف آرائهم الفقهية والعقدية - آمنوا بخرافة؟! وأنّ المستشكل هو الوحيد الذي تنبّه إلى أنّ هذا الاعتقاد فرضية فلسفية وخرافة انتقلت من النصاري!! هذا ما لا يمكن أن يصدّقه إلا جاهلٌ أو ماكر.

أما الادّعاء بأنها عقيدة "لا أثر قرآنيّ لها"، فجوابه:

أنّ ثمة آياتٍ قرآنيةً متعدّدة اتّفق علماء المسلمين على دلالتها على الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام، نذكر بعضها منها:

١ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١).

جاء في تفسير "البحر المحيط": «قال السّدي: ذلك عند خروج المهديّ، لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام، وأدّى الخراج»^(٢).

وقال النيسابوري في تفسيره: «وتمام هذا إنما يظهر عند خروج المهديّ ونزول عيسى»^(٣).

(١) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأثير الدين الأندلسي، ج ٥، ص ٤٠٦.

(٣) تفسير النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، ج ٣، ص ٤٥٨.

وقال القرطبي في تفسيره: «لِيُظْهِرَ الدِّينَ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى كُلِّ دِينٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالضَّحَّاكُ: هَذَا عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ السَّيِّدِي: ذَاكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ أَدَّى الْجِزْيَةَ، وَقِيلَ: الْمَهْدِيُّ هُوَ عِيسَى فَقَطْ، وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الصَّحَّاحَ قَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ عَتَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى عِيسَى»^(١).

قال الطبري في تفسيره للآية الكريمة: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، قَالَ: حِينَ خُرُوجِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ»^(٢).

ومعلومٌ أنَّ خُرُوجَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ الْبَخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾^(٣).

جاء في تفسير الثعلبي: «﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ أَيَّ يُعْلِي دِينَ، وَيُظْهِرُ كَلِمَتَهُ، وَيُتِمُّ الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ لِيُعْلِيَهُ، وَيَنْصُرَهُ، وَيُظْفِرَهُ ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ عَلَى سَائِرِ الْمِلَلِ كُلِّهَا ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. قَالَ السَّيِّدِي:

(١) تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، ج ٨، ص ١٢١.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٠، ص ١٥٠.

(٣) التوبة: ٣٢.

وذلك عند خروج المهديّ، لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الإسلام، أو أدّى الخراج»^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

قال الطبري في تفسيره: «حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السّديّ قوله: (لهم في الدنيا خزيّ)، أما خزيهم في الدنيا، فإنهم إذا قام المهديّ، وفُتحت القسطنطينية قتلهم. فذلك الخزي»^(٣).

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: «حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السّديّ "أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهديّ فتح القسطنطينية، وقتلهم فذلك الخزي"، وروي عن عكرمة، ووائل بن داود نحو ذلك»^(٤).

وقال ابن كثير في تفسيره: «وفُسر الخزي من الدنيا بخروج المهدي عند السّدي، وعكرمة، ووائل بن داود»^(٥).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، ج ٥، ص ٣٦.

(٢) البقرة: ١١٤.

(٣) تفسير الطبري، ج ٢، ص ٥٢٥.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١، ص ٢١١.

(٥) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٧١.

كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(١).

قال الألوسي في تفسيره: «﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وتضمن حلَّ الأديان الباطلة كلها إما بهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل، قيل: لم يَجِءْ تأويل هذه الآية بعد، وسيتحقق مضمونها إذا ظهر المهديّ، فإنه لا يبقى على ظهر الأرض مشرك أصلاً»^(٢).

وأما ادّعاء أنَّ الاعتقاد بالإمام المهديّ المنتظر عليه السلام هو مجرد خرافة انتقلت من النصاري، فهو ادّعاء باطل. فالمهديّ المنتظر عليه السلام وعدّ إلهيّ، وحقيقته الواقعية نُقلت عن الصادق الأمين عليه السلام، وقد اتَّفَق علماء كثيرون من أهل السُّنة والجماعة على تواتر الأحاديث الواردة فيه، فقد قال محمد بن الحسين الأبريّ في كتاب "مناقب الشافعي": «قد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذكر المهديّ، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنَّ عيسى يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه»^(٣).

وقد نقله عنه جماعةٌ من أكابر العلماء، وأقروا، منهم القرطبي

(١) الأنفال: ٣٩.

(٢) تفسير الألوسي "روح المعاني"، ج ٥، ص ١٩٤.

(٣) مناقب الشافعي، للأبريّ، ص ٩٥، ط. الدار الأثرية، الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

في "التذكرة"^(١)، وابن القيم في كتابه "المنار المنيف"^(٢)، والحافظ أبو الحجاج المزي في "تهذيب الكمال"، في ترجمة محمد بن خالد الجندي الصنعاني^(٣)، والحافظ ابن حجر في "باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام" من "فتح الباري"، قال: «وقال أبو الحسن الخسعي الأبيدي في مناقب الشافعي تواترت...»^(٤)، ونقله أيضًا في "تهذيب التهذيب" في ترجمة محمد بن خالد الجندي^(٥)، والحافظ السخاوي في "فتح المغيث"^(٦)، والسيوطي في "الحاوي للفتاوي"^(٧)، وكثير غيرهم.

وقال الكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر": «وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة»، والسخاوي ذكر ذلك في "فتح المغيث"، ونقله عن أبي الحسين الأبري، وفي تأليف لأبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي في المهدى أن أحاديثه متواترة أو كادت، قال: «وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقّاد»، وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصّه: «ورد خبر المهدى في أحاديث ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حدّ التواتر»، وفي "شرح المواهب"

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ص ١٢٠٥، ط. الأولى، ١٤٢٥ هـ.

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ص ١٤٢، ت. أبي غدة.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج ٢٥، ص ١٤٨، ط. الأولى، ١٤٠٠ - ١٤١٣ هـ.

(٤) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٤٩٣.

(٥) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ج ٩، ص ١٤٤، ط. ١٣٢٦ هـ.

(٦) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، ج ٤، ص ٢٣، ط. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٧) الحاوي للفتاوي، للسيوطي، ج ٢، ص ١٠٣، ط. دار الفكر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

نقلًا عن أبي الحسين الأبري في "مناقب الشافعي" قال: «تواترت الأخبار أنَّ المهديَّ من هذه الأمة، وأنَّ عيسى يصلي خلفه»، وفي "مغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء" قال الشيخ أبو الحسين الأبري: «قد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رُواتها عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بمجيء المهديَّ، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً»^(١).

وهذا النقل كافٍ لدخض ادِّعاء مَنْ يزعم أنَّ الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر هو مجرد خرافة انتقلت من النصارى.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) نظم المتناثر، ص ٢٢٦، ط. دار الكتب السلفية - مصر.

إسرائيل بين فسادين وانتقامين في النص القرآني

السائل: علي الموسوي

السؤال: ماذا يُستفاد من هذه الآيات: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتِيرًا﴾ ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(١).

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهَّرين مصاييح الظلام، وهداة الأنام.

أشار الشيخ إبراهيم الزنجاني في كتابه "ملاحم القرآن" إلى أنه

(١) سورة الإسراء: ٤-٨.

مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَةُ مَنْطِقَةً عَلَى الْأَحْدَاثِ الْجَارِيَةِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، وَهَذَا الْاِحْتِمَالُ وَإِنْ لَمْ يُجْزَمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْآيَاتِ مَا يَأْبَى عَنِ انْطِبَاقِهَا عَلَيْهِ، بَلْ جَمِيعُ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ مَوْجُودٌ فِي هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَمَنْطَبِقٌ عَلَيْهَا.

وَحَاصِلُ هَذَا الْاِحْتِمَالِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَخْبَرَ عَنْ أَرْبَعَةِ حَوَادِثَ تَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ وَقَعَ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ثَلَاثَةٌ مِنْهَا، وَالرَّابِعَةُ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ هِيَ فَسَادَانِ وَانْتِقَامَانِ.

١ - فَسَادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِعْلَاؤُهُمْ، وَهُوَ تَأْسِيسُ الصَّهْيُونِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ وَادِّعَاؤُهُمُ التَّفُوقَ الذَّاتِي عَلَى كُلِّ شُعُوبِ الْعَالَمِ، وَخَاصَّةً تَعْدِيَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوجًا كَبِيرًا﴾، فَتَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى مِنْ فَسَادِهِمْ.

٢ - إِنْ الدُّوَلُ الْعَرَبِيَّةَ عِنْدَ مَا صَدَمَتْهُمْ مَظَالِمُ الْيَهُودِ اجْتَمَعُوا فِي صَفٍّ وَاحِدٍ، وَحَارَبُوهُمْ بِبَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَلَمْ يَتْرَكُوا فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ يَهُودِيًّا إِلَّا قَتَلُوهُ أَوْ أَخْرَجُوهُ مِنْهَا، وَأَخَذُوا بَيْتَ الْمَقْدَسِ مِنْهُمْ. وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا...﴾.

٣ - كَرَّةُ الْيَهُودِ عَلَى الْعَرَبِ وَغَلَبَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكُونُهُمْ أَكْثَرَ أَمْوَالًا؛ لِمُسَاعَدَةِ الدُّوَلِ الْكُبْرَى إِيَّاهُمْ، وَأَكْثَرَ عَدَدًا؛ لَكَثْرَةِ

العارفين بقواعد الحرب فيهم، فاستولوا على أراضي العرب، واحتلوا كعبتهم الأولى بيت المقدس، وهزموهم في مواقع من الحرب التي شنوها عليهم، وهذا ما وقع قبل مدة، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾.

٤ - غلبة العرب على اليهود مرة ثانية غلبة ظاهرة تكون لهم السيطرة عليهم، فيسترجعون المسجد الأقصى، ويدمرون اليهود، ويقتلون من ظفروا به من هذه الطغمة الفاسدة، وهذا ما لم يقع بعد، وهو الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ...﴾.

وفي آخر الآيات نكتة قيّمة، وهي رجاء العفو والغفران من الله تعالى لليهود، وهذا يتحقق إما بإسلامهم أو باستسلامهم، فتكون السيطرة التامة للإسلام والمسلمين، ويصبح اليهود خاضعين لهم، لا تقوم لهم قائمة في الأرض، وهو ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ...﴾.

ومقتضى قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا﴾، هو تبير اليهود واستئصالهم وإفنائهم، وهذه كلها شواهد على حمل الآيتين على أمرٍ مستقبل، وهو استئصال اليهود وتدميرهم بيد المسلمين.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

تعدد الشُّفَعاء يوم القيامة

السائل: طالب علم

السؤال: السلامُ عليكم.. ما الحكمةُ التي لأجلها تعددت وسائل الشفاعة، فوهبها الله لبعض عباده، ولم يقصُرْها على رسولِ الله ﷺ مع العلم أنَّ جميع الخلق بشتى مكاناتهم محتاجون لشفاعة رسول الله ﷺ.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

على الرغم من تعدُّد وتنوُّع الشُّفَعاء يوم القيامة، إلا أنَّ شفاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ هي الأصل الذي تتفرَّع عنه شفاعاتهم جميعاً، وهي المفتاح الذي يفتح أبوابَ الشفاعة كُلِّها، وما لا يستطيع أيُّ شافعٍ تحقيقه يحقِّقه النبي ﷺ بشفاعته الكريمة، إذ يتمتَّع بأعلى درجات الشفاعة التي تشمل نفعُها جميع الخلائق، بما فيهم سائر الشُّفَعاء.

ولا بأس بالإشارة إلى الشُّفَعاء يومَ القيامة من باب الإحاطة،

ثم نبين نفع تعدد الشفاعة وتنوعها:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ﴿^(١)﴾ أنه يُستفاد منه ومن آياتٍ أُخرى أنّ الشفعاء كثيرون في يوم القيامة (مع اختلاف دائرة شفاعتهم) ويُستفاد من مجموع الروايات الكثيرة والمنقولة من الخاصة والعامة أنّ الشفعاء يشفعون للمذنبين لمن فيه مؤهلات الشفاعة:

الشفيع الأول، النبي: فالنبي ﷺ هو الشفيع الأول يوم القيامة، فقد جاء عنه أنه قال: «أنا أول شافعٍ في الجنة» ^(٢).

الشفيع الثاني، الأنبياء: فالأنبياء من الشفعاء يوم القيامة، كما ورد في حديثٍ آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «يشفع الأنبياء في كلِّ مَنْ يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، فيخرجونهم منها» ^(٣).

الشفيع الثالث، الملائكة: من الشفعاء يوم المحشر الملائكة، فقد نُقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا» ^(٤).

(١) المدثر: ٣٨ - ٤٧.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) مسند أحمد، ج ٣، ص ١٢.

(٤) مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٣.

الشفيع الرابع والخامس، الأئمة المعصومون وشيعتهم: جاء ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «لنا شفاعَةٌ، ولأهل مودَّتنا شفاعَةٌ»^(١).

الشفيع السادس والسابع، العلماء والشهداء: جاء ذلك في حديثٍ عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث قال: «يشفعُ يومَ القيامة الأنبياءُ ثمَّ العلماء ثمَّ الشهداء»^(٢).

وورد في حديثٍ آخر نقله المجلسيُّ في بحار الأنوار: «أنَّ شفاعتهم تُقبَل في سبعين ألفَ نفرٍ»^(٣).

الشفيع الثامن، القرآن: وهو من الشفعاء في يوم القيامة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا أنَّه (القرآن) شافعٌ مشفعٌ»^(٤).

الشفيع التاسع، مَنْ مات على الإسلام: فقد ورد عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنه قال: «إذا بلغ الرجل التسعين غفرَ الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشُفِّع في أهله»^(٥).

الشفيع العاشر، العبادة: فقد جاء في حديثٍ عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الصَّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»^(٦).

(١) الخصال للصدوق، ص ٦٢٤.

(٢) سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٤٤٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة، ١٧٦.

(٥) مسند أحمد، ج ٢، ص ٨٩.

(٦) مسند أحمد، ج ٢، ص ١٧٤.

الشفيع الحادي عشر، العمل الصالح: فقد ورد في بعض الروايات أن العمل الصالح - كأداء الأمانة - يكون شافعاً في يوم القيامة^(١).

والروايات كثيرة في هذا الباب، وما ذكرناه هو جانب منها^(٢).

ونفَعُ تعدد الشفعاء يوم القيامة بينه السيد الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره فيما نقله عن تفسير العياشي، عن سماعة بن مهران، عن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله: **﴿... عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾**^(٣) قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً، ويؤمر الشمس، فيركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً، فيأتون آدم، فيستشفعون منه، فيدُلُّهم على نوح، ويدُلُّهم نوح على إبراهيم، ويدُلُّهم إبراهيم على موسى، ويدُلُّهم موسى على عيسى، ويدُلُّهم عيسى، فيقول: عليكم بمحمد خاتم الرسل، فيقول محمد صلوات الله عليه وآله: أنا لها، فينطلق حتى يأتي باب الجنة، فيدق... فيقال: افتحوا له، فإذا فتح الباب استقبل ربه، فخر ساجداً، فلا يرفع رأسه حتى يقال له: تكلم، وسل تعط، واشفع تُشفع، فيرفع رأسه، ويستقبل ربه، فيخر ساجداً، فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع لمن قد أحرق بالنار. فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمد صلوات الله عليه وآله، وهو قول الله تعالى: **﴿... عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾**.

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٤.

(٢) للاستيضاح يمكن الرجوع إلى كتاب مفاهيم القرآن، للشيخ السبحاني، ج ٤، ص ٢٨٨-٣١١.

(٣) الإسراء: ٧٩.

وقال السيّد الطباطبائي (رحمه الله) في ذيل نقله لهذا الحديث: «أقول: وهذا المعنى مستفيض مروي باختصار والتفصيل بطرق متعددة من العامّة والخاصّة، وفيها دلالة على كون المقام المحمود في الآية هو مقام الشفاعة، ولا ينافي ذلك كون غيره صلى الله عليه وآله من الأنبياء وغيرهم جائز الشفاعة؛ لإمكان كون شفاعتهم فرعاً لشفاعته فافتتاحها بيده صلى الله عليه وآله» (١).

ويمكن استنتاج أنّ تعدّد الشفعاء يوم القيامة واختلاف مراتبهم يدلُّ على عظمة شفاعته النبي صلى الله عليه وآله، فهي الشفاعة الكبرى التي تشمل جميع الخلائق، فهو الشفيع الأعظم الذي تتمتع شفاعته بأعلى الدرجات، وتشمل حتى الأنبياء والصالحين والملائكة، وهذا التعدّد في الشفعاء يُبرز رحمة الله الواسعة، حيث تُتيح رحمته (الشفاعة) لعباده نيل الشفاعة حسب أعمالهم وأقوالهم، ولكن كلّ هذه الشفاعات تعود في النهاية إلى شفاعته النبي صلى الله عليه وآله، فهي الأصل الذي تتفرع عنه جميع الشفاعات الأخرى.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) تفسير الميزان، ج ١، ص ١٧٥.

أبو بكر: أنا لست خليفة رسول الله

السائل: أنور الساعدي

السؤال: هل يوجد دليلٌ يُثبتُ عدمَ صحة إطلاق لقب "خليفة رسول الله" على أبي بكر.. وتقبّلوا خالصَ شكري وتقديري.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

ورَدَ في حديثٍ لم يَطْعَن فيه أحدٌ من علماء أهل السُّنة أنَّ أبا بكر أقرَّ بأنه ليس خليفة رسول الله ﷺ وإنما هو "خليفة" له، فقد جاء في (تاريخ دمشق) لابن عساكر عن ابن عباس، أنه قال: «أنَّ أعرابياً جاء إلى أبي بكر، فقال: أنت خليفة رسول الله؟ قال: لا. قال: فما أنت؟ قال: أنا الخليفة بعده، أنا القاعد بعده»^(١).

وعلى رغم إقراره بأنه ليس خليفة لرسول الله ﷺ، فقد أكَّد أنه يشغل منصب (الخليفة)، إلا أنَّ هذا المنصب لا يحمل أيَّ دلالة

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج ١٩، ص ٤٩٧.

على الرِّفعة والمكانة، بل هو منصبٌ ذليل ومذموم.

فقد جاءت كلمة (الخالفة) في اللغة لتدلَّ على عدة معانٍ:

١ - الْمُتَخَلِّفُ عن القوم في الغزو.

٢ - الفاسِدُ الذي لا غناء عنده، ولا خير فيه.

٣ - مَنْ هو كثيرُ الخِلافِ.

٤ - مَنْ تقعد في دارها من النساء.

٥ - مَنْ يتخلف عن القوم في الغزو، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.

٦ - مَنْ لا خير فيه، ولا هو نجيب.

٧ - مَنْ يستخلفه الرئيس على أهله وماله ثقةً به.

وبالنظر إلى هذه المعاني المتنوعة، يتَّضح أنَّ كلمة (الخالفة) تحمل في طياتها دلالة قوية على الذَّم، ولا دلالة في أيٍّ منها على المدح.

قال الزمخشري في "الفائق": «أبو بكر رضي الله عنه جاءه أعرابيٌّ، فقال: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الْخَالِفَةُ بعده. خلف الخالف والخالفة: الَّذِي لَا غَنَاءَ

عنده، وَلَا خَيْرَ فِيهِ»^(١).

وجاء عن ابن الجوزي في "غريب الحديث"، قوله: «"قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، أَنَا الْخَالِفَةُ بَعْدَهُ". أَرَادَ الْقَاعِدَ بَعْدَهُ. قَالَ ثَعْلَبُ: الْخَالِفَةُ الَّذِي يَسْتَخْلَفُهُ الرَّئِيسُ عَلَى أَهْلِهِ، وَمَا لَهُ ثِقَةٌ بِهِ»^(٢).

وقال ابن الأثير في "النهاية": «وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ «جَاءَهُ أَعْرَابِي، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: لَا. قَالَ: فَمَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الْخَالِفَةُ بَعْدَهُ». الْخَلِيفَةُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ الذَّاهِبِ، وَيُسَدُّ مَسَدَهُ... فَأَمَّا الْخَالِفَةُ فَهُوَ الَّذِي لَا غَنَاءَ عِنْدَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ. وَكَذَلِكَ الْخَالِفُ. وَقِيلَ: هُوَ الْكَثِيرُ الْخِلَافُ»^(٣).

وفي "العُباب الزاخر"، يقول الصغاني: «وَفَلَانُ خَالِفَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَالَفَ أَهْلَ بَيْتِهِ أَيُّضًا: إِذَا كَانَ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا هُوَ نَجِيبٌ»^(٤).

وأشار الفيومي في "فتح القريب"، إلى أَنَّ معنى "الخالفة"، هُوَ مَنْ يَتَخَلَّفُ عَنِ الْقَوْمِ فِي الْغَزْوِ، وَمَنْ لَا غَنَاءَ عِنْدَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ، فَقَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالَ: أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ الْخَالِفَةُ

(١) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ج ١، ص ٣٩١.

(٢) غريب الحديث، لابن الجوزي، ج ١، ص ٢٩٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج ٢، ص ٦٩.

(٤) العُباب الزاخر، ج ١، ص ٤٠٥.

بعده، اعلم أنَّ الخالفة في اللغة: الذي لا غناء عنده، ولا خير فيه، وكذلك الخلف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾^(١).

فالجواب يخلص إلى: أنَّ أبا بكر بحسب حديث ابن عباس الذي لم يطعن فيه أحدٌ من علماء أهل السنة، أقرَّ بأنه ليس "خليفة" رسول الله ﷺ وإنما هو (خالفة) له، وهذا اللفظ كما ورد في المصادر اللغوية والحديثية، يحمل دلالات سلبية متعدّدة، منها أنه الشخص الذي لا غناء عنده، ولا خير فيه، أو الذي يتخلّف عن الغزو، أو الذي يكون غير مؤهّل للخلافة والقيادة، ومن ثم، فإنَّ إطلاق لقب (خليفة رسول الله) غير صحيح بناءً على حديث ابن عباس الذي أقرَّ فيه أبو بكر بأنه "الخالفة" من بعد الرسول ﷺ وليس الخليفة، وهو لفظٌ يحمل في طياته دلالات الذم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب، للفيومي، ج ١، ص ٧٥٨.

بين رسول الله والإمام الحسين وحدة الكمال الروحي والنهج الرسالي

السائل: طالب علم

السؤال: السلام عليكم، هل أورد علماء الشيعة تفاسير أو آراء لمعنى قول النبي ﷺ: "وأنا من حسين"؟ وقد استشكل بعض أهل السنة في صحة هذا الحديث بالقول: (كيف لرسول الله أن ينسب نفسه للحسين، ويجعل مقامه من مقام الحسين، والنبي يعلم أنه أفضل مقامًا)؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

روى أحمد في مسنده حديث رسول الله ﷺ: «حسينٌ مني، وأنا من حسين، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حَسِينًا، حسينٌ سبطٌ من الأَسْبَاطِ»^(١). وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه^(٢). والبخاري في تاريخه^(٣).

(١) مسند أحمد، ج ٢٩، ص ١٠٣، ط. الرسالة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبه، ج ١٢، ص ١٠٢.

(٣) التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٤١٥.

والطبراني في "الكبير"^(١)، والمزني في ترجمة سعيد بن أبي راشد من "تهذيب الكمال"، من طريق عفان، بهذا الإسناد^(٢). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي^(٣). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»^(٤)، وحسنه الألباني^(٥). وصحح حديث يعلى بن مرة في "الصحيحة"^(٦). وفي الزوائد: إسناده حسن^(٧). وصححه ابن حبان في "الموارد"^(٨).

وفي شرح الحديث قال السندي في حاشيته: «قوله: "حسين مني، وأنا من حسين" أي بينا من الاتحاد والاتصال ما يصح أن يقال: كلُّ منهما من الآخر»^(٩).

وفي "تحفة الأحوذى"، قال المباركفوري: «قوله: "حسين مني، وأنا من حسين"، قال القاضي: كأنه صلى الله عليه وسلم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم، فخصّه بالذكر، ويُن أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرُّض والمحاربة، وأكَّد ذلك بقوله: "أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً"، فإنَّ محبته محبة

(١) المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٧٠٢.

(٢) تهذيب الكمال، ج ١٠، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ج ٣، ص ١٩٤، ط. العلمية.

(٤) الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٣٢٤.

(٥) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥١، ت. عبد الباقي.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، ج ٣، ص ٢٢٩.

(٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ١٨١.

(٨) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج ٧، ص ١٩٧، ت. حسين أسد.

(٩) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٥.

الرسول، ومحبة الرسول محبة الله»^(١).

وأما (كيف لرسول الله أن ينسب نفسه للحسين، ويجعل مقامه من مقام الحسين، والنبى يعلم أنه أفضل مقامًا)؟

فجوابه:

أنَّ عبارة (وأنا من حسين)، الواردة في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، لا ترمي إلى مقارنةٍ مقاميةٍ حتى يُقال كيف وكيف، بل تعكس عمق العلاقة الروحية بين النبي ﷺ والإمام الحسين عليه السلام، وتدُلُّ على وحدة في الرسالة والموقف.

وإنَّ أصرَّ المستشكل على أنَّ العبارة تدلُّ على مقارنةٍ مقاميةٍ، فإننا نورد ما يقابله من حديثٍ رواه مسلمٌ في صحيحه عن رسول الله ﷺ، أنه قال لـ "جليبب الأنصاري" (هذا مني، وأنا منه)، حيث روى مسلمٌ بسنده عن أبي برزة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: لا. قال: لكني أفقد جليبيبا، فاطلبوه. فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة، قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف عليه، فقال: قتل سبعة، ثم قتلوه، هذا مني، وأنا منه، هذا مني، وأنا منه»^(٢).

(١) تحفة الأحوذى، ج ١٠، ص ١٧٨.
(٢) صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٥٢، ط. التركية.

فنقول لهم: فكيف لرسول الله ﷺ أن ينسب نفسه لـ "جلييب الأنصاري"، ويجعل مقامه من مقام "جلييب" والنبي يعلم أنه أفضل مقامًا؟!!

يخلص الجواب إلى الآتي:

أنَّ بعض أهل السُّنة استشكلوا قول النبي ﷺ: "وأنا من حسين"، معتبرين أنَّ نسبة النبي نفسه إلى الحسين لا تتناسب مع علوِّ مقامه، غير أنَّ هذا الاستشكال يمكن تفنيده بتوضيح أنَّ العبارة لا ترمي إلى مقارنة مقاماتٍ حتى يُقال: كيف وكيف، بل تعكس عمق العلاقة الروحية بين النبي ﷺ والإمام الحسين عليهما السلام، وإلاَّ فإننا نجد في صحيح مسلم حديثًا مشابهًا يقول فيه النبي ﷺ عن "جلييب الأنصاري": (هذا مني، وأنا منه). فالنبيُّ هنا يربط نفسه بـ "جلييب"، على رغم الفارق الشاسع في المقام، مما يؤكِّد أنَّ هذه العبارة لا تستند إلى مقارنةٍ مقامية.

وعليه، فإنَّ عبارة "وأنا من حسين" تعكس اتصالًا روحيًّا خاصًّا بين النبيِّ والحسين، وتدلُّ على وحدةٍ في الرسالة والموقف، لا سيما فيما يتعلَّق بحبِّ الإمام الحسين وحرمةٍ محاربتة، دون أن تتضمَّن أيَّ تلميحٍ إلى تفاضلٍ في المقام.

والحمد لله أوَّلاً وآخرًا، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

هل رواية بصائر الدرجات تؤكد لقب الصديق ووجود أبي بكر مع النبي في الغار؟

السائل: أبو محمد الباقر

السؤال: جاء في كتاب بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - الصفحة ٤٤٢: حدثنا موسى بن عمر عن عثمان بن عيسى عن خالد بن نجیح، قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك، سمى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الصديق؟ قال: نعم، قال: فكيف قال حين كان معه في الغار؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأرى سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالة، قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنك لتراها؟ قال: نعم، فتقدر أن تُرينيها؟ قال: ادن مني، قال: فدنا منه، فمسح على عينيه، ثم قال: انظر، فنظر أبو بكر، فرأى السفينة، وهي تضطرب في البحر، ثم نظر إلى قصور أهل المدينة، فقال في نفسه: الآن صدقت أنك ساحر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديق أنت.

مضمون الحديث في أعلاه دلالة على أن أبا بكر كان في الغار، وأنه هو الصديق!! ما حكم الرواية من ناحية المتن والسند؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمدٍ وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

بالنسبة للرواية المذكورة في كتاب بصائر الدرجات، هناك عدة نقاط يجب النظر فيها من ناحية المتن والسند:

١ - من ناحية المتن:

متن الرواية: صرَّحت الرواية أنَّ النبي ﷺ قال لأبي بكر: "الصديق أنت"، بعد أن خطر في ذهن أبي بكر أن النبي ساحرٌ، كما هو واضحٌ من سياق الرواية بعيداً عن التأويل أو التفسير، فقد نصَّت الرواية أنَّ أبا بكر قال في نفسه: «الآن صدقتُ أنك ساحرٌ»، فتبعه قول رسول الله ﷺ، له: «الصديق أنت»، مما يوحي أنَّ النبي قال هذا القول على سبيل التهكُّم، كما وضح ذلك العلامة المجلسي في "بحار الأنوار"^(١). وهذا التفسير يجعل الرواية في إطار الاستهزاء بموقف أبي بكر، وليس في إطار الثناء عليه أو منحه لقب "الصديق".

مفهوم التهكُّم: الرواية استعملت لفظ "الصديق" في موقفٍ

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٠٩.

يُفْهَم منه السخرية، وليس إشادةً بأبي بكر، وهو ما يُفهم من قول النبي ﷺ بعد أن شك أبو بكر في صدق نبوته.

بالنتيجة: مَنْ يُريد الاستدلال بهذه الرواية لإثبات فضل أبي بكر، وأنه كان مع النبي في الغار، يلزمه أيضًا قبول أن أبا بكر قد شك في نبوة النبي، واعتبره ساحرًا، الأمر الذي يؤسس للقول بعدم إسلامه.

٢ - من ناحية السند:

الرواية ضعيفة؛ لأن "خالد بن نجيح" من الغلاة حسب قول الكشي، والغلاة هم فرقةٌ منحرفةٌ تُتهم بالغلو في العقائد، مما يضعف الروايات المنقولة عنهم، وأن كثيرًا من علماء الرجال مثل العلامة الحلي، وابن داود، ومحمد طه نجف، والبهودي اعتبروا خالدًا من الضعفاء. حتى مع الإشارة إلى أن هناك روايات تذكر أنه قد تراجع عن الغلو، إلا أن تلك الروايات نفسها ضعيفة السند، مما يَبْقَى على تصنيف الكشي له بأنه ضعيف بلا معارض قوي، فقد قال الكشي: «خالدٌ من أهل الارتفاع، أي من الغلاة، وفي بعض الروايات يظهر منها أنه رجع عن الغلو إلى العقيدة الصحيحة، إلا أنها ضعيفة السند، فيبقى قول الكشي فيه بلا معارض؛ لذا عدّه من الضعفاء كل من العلامة، وابن داود، والجزائري، ومحمد طه نجف، والبهودي»^(١).

(١) الضعفاء من رجال الحديث، للساعدي، ج ١، ص ٥٢٨.

النتيجة:

لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية لإثبات أن أبا بكر هو "الصديق" أو لإثبات وجوده مع النبي في الغار؛ إذ إن الرواية ذات طابع تهكُّمي، ولا تُظهر مدحاً لأبي بكر بقدر ما تشير إلى شكّه في نبوة النبي، بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ ضعف السند يجعل الرواية غير صالحة للاحتجاج بها في إثبات الحقائق.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



تحليل نقديّ لزعم عدم إمكانية الحكم على تنظيم الكون

السائل: أمير

السؤال: أريد ردًا على هذه الشبهة الإلحادية، وهي نصًا (لا يمكن لك أن تحدّد أنّ الكون منظّم، وأنت لم ترَ كونًا آخر لتقيس عليه، سأعطيك مثالاً: إذا كنتَ تعيشُ في بيتٍ شعبيٍّ في حيٍّ شعبيٍّ، والمنزلُ من الصّفيح، ولكنّ كلّ العالم له تلك المنازلُ الشعبية نفسها. فهل ستتقدّها؟ لا أظنّ ذلك بل ستقول: إنه حلوّ ومنظّم؛ لأنّه يحميك من الشتاء والبرد، وهو جميلٌ؛ لأنك لم ترَ غيره، بل فقط عقلك تعايش مع هذا الأمر، لكنّ إذا أعطيناك منزلًا شعبيًّا، وقارنناه لك بقصرٍ فماذا ستقول: إنه الأحسن؟ أظنّ أنك ستقول بأنّه القصر، ولكنّ بالأول كنتَ تقول بأنّ منزلك أنسب لك، فما الذي تغيّر؟ هذا كان جرّاء المقارنة).

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصايح الظلام، وهُدَاة الأنام.

تنويه: (هذه الشبهة نقلها السائل من أحد المواقع الشيعية، وقد سبق للموقع الإجابة عليها، إلا أن السائل يرغب في إجابة أكثر وضوحاً)..

فنقول في الجواب:

هذه مغالطة واضحة يحاول ناقلها إنكار إمكانية الحكم على الكون بأنه منظم بسبب عدم وجود كون آخر للمقارنة، ويمكن تنفيذها وردّها باتّباع الخطوات الآتية:

أولاً: زعم أن الحكم على شيء بأنه "منظم" أو "متقن" أو "جيد" لا يمكن أن يتم إلا بالمقارنة بشيء آخر، ادّعاء خاطئ وفكرة محدودة؛ لأن الحكم على تنظيم شيء أو تقنيته أو جودته يمكن أن يتم بناءً على معايير موضوعية مستقلة عن المقارنة، فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نحكم على تنظيم الكون بدقّة بملاحظة القوانين الفيزيائية الثابتة التي تحكمه، كقوة الجاذبية والتوازن بين العناصر الكونية، ولا يتطلب هذا الحكم وجود "كون آخر للمقارنة".

ثانياً: المثال المطروح يتعلّق بالتفضيل الشخصي للمنازل الشعبية على القصور، وهو أمر ذوقي بحث، ولا علاقة له بالتنظيم المُقيّم علمياً، فحينما نتحدّث عن تنظيم الكون، لا نقصد بذلك مجرد تفضيل شخصي، بل هو نظام دقيق قائم على قوانين ثابتة يمكن ملاحظتها وتجربتها، فتنظيم الكون ليس تعبيراً عن ذوق، بل

هو نتيجةٌ لملاحظاتٍ وتجاربٍ علميةٍ أظهرتِ الانسجام والتناسق بين مكوّناته.

ثالثاً: أنّ العقل قادرٌ على إدراك النظام بدون الحاجة إلى مقارنة، كما يحكم الشخص على الساعة بأنها منظّمةٌ ودقيقة بناءً على ملاحظته لحركتها المنتظمة وآليّة عملها، دون الحاجة لرؤية ساعةٍ أخرى، كذلك يمكن للعقل أن يدرك أنّ الكون منظّم بناءً على قوانينه وآلياته الدقيقة التي تتحكّم في حركته ووجوده.

رابعاً: المقارنة المطروحة بين "البيت الشعبي" و"القصر" تثير تساؤلاتٍ حول معايير التنظيم والدقّة والجمال، إذ من المفيد التأكيد على أنّ تقويم أيّ بناءٍ لا يركّز على مقارنته بغيره، بل على مدى ملاءمته للغرض الذي أنشئ من أجله، سواء كان بناءً متواضعاً أم فخماً، فإنّ هدفه الأساس هو توفير مأوى مناسبٍ لساكنيه، فكذلك الكون فإنه يعمل على وفق نظامٍ دقيقٍ ومتناغمٍ، وهذه الحقيقة لا تحتاج إلى مقارنة بأيّ نظامٍ آخر لتأكيدّها.

خامساً: أن تنظيم الكون ليس مسألة ذوقٍ أو مقارنة، بل هو نتيجةٌ لقوانين فيزيائية دقيقة ومعقّدة تحكمه، وهذه القوانين بمثابة دليلٍ قاطعٍ على النظام الدقيق الذي يسود الكون، فالظواهر -مثل دوران الكواكب، وحياة الكائنات الحية على الأرض، وعمليات النموّ البيولوجي، وغيرها- جميعها تشهد على وجود نظامٍ كونيٍّ متقنٍ، دون الحاجة إلى مقارنته بأيّ نظامٍ آخر.

يتحصّل من هذا الردّ أنّ الشُّبهة المطروحة تقوم على مغالطةٍ أساسية، وهي ربط الحكم على النظام بالمقارنة مع شيءٍ آخر، في حين أنّ الحكم على دقة أيّ نظام يتم بناءً على معايير علمية وموضوعية وقوانين ثابتة، لا على مقارنته بآخر، إضافةً إلى ذلك، فإنّ المثال المطروح في الشبهة حول المنازل الشعبيّة والقصور إنّما يتعلق بالذوق الشخصي، وهو لا يصلح للحكم على دقة نظام الكون، هذا، والعقلُ البشري -بملاحظة القوانين الفيزيائية الدقيقة التي تحكم الكون- هو القادر على الحكم على دقة هذا النظام.

وفي النهاية، فإنّ تقويم دقة نظام الكون ليس ذوقاً أو رأياً شخصياً، بل هو حقيقةٌ قائمة على قوانين فيزيائية محكمة وملاحظاتٍ علمية واضحة.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



سرُ تخصيص القرآن لأبي لهب وامراته بالذكر في سورة المسد

السائل: الخزاعي

السؤال: لماذا خصَّ الله تعالى أبا لهبٍ من دون كلِّ مَنْ آذَوْا النبيَّ الأكرم بذكره وزوجته في القرآن الكريم وأنَّهما يعذَّبَان في النار؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

إذا أردنا الوقوفَ على سبب ذكر القرآن الكريم لـ "أبي لهب" تحديداً دون سائر مَنْ آذَوْا النبيَّ ﷺ وحاربوه، فلا بدَّ لنا من التعرُّف على شخصيته ومواقفه المعادية للإسلام بنحوٍ مختصر.

كان أبو لهبٍ -واسمُه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم- من قريشٍ، وعمُّ النبي، وأحدَ الشجعان في الجاهلية، ومن أشدَّ الناس عداوةً للمسلمين في الإسلام، كان غنياً عتياً، كُبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابنُ أخيه، فأذاه، وآذى أنصاره، وحرَّض عليهم، وقتلهم، وفيه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ

وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾. مات بعد وقعة بدرٍ بأيام.

وفي "أسباب النزول"، قال الواحدِيُّ: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ الصَّفَا، فَصَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَى «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ. فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تَرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ صِدْقَتُمُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّالِكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، مَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿٢﴾».

وفي الرواية عن "طارق المحاربي" قال: «بَيْنَا أَنَا بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ إِذَا أَنَا بِشَابٍّ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا». وَإِذَا بِرَجُلٍ خَلْفَهُ يَرْمِيهِ، قَدْ أَدْمَى سَاقِيهِ وَعَرَقَوْبِيهِ، وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ كَذَّابٌ، فَلَا تَصَدِّقُوهُ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هُوَ مُحَمَّدٌ يُزَعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ. وَهَذَا عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ يُزَعِمُ أَنَّهُ كَذَّابٌ» ﴿٣﴾.

وفي رواية عن "ربيعه بن عباد" قال: «كُنْتُ مَعَ أَبِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ الْقِبَائِلَ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءُ الْوَجْهِ. يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَبِيلَةِ، فَيَقُولُ: «يَا بَنِي فَلَانِ. إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ. آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ

(١) المسد: ١-٢.

(٢) أسباب النزول ص ٣٧٨.

(٣) مجمع البيان، للشيخ الطوسي، ج ١٠، ص ٥٥٩.

تصدّقوني، وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمّه أبو لهب^(١).

وفي رواية أخرى: «وكان من عظيم خطر أبي لهب ضدّ الدعوة الإسلامية أنّه كلما جاء وفدٌ إلى النبي ﷺ يسألون عنه عمّه أبا لهب - اعتبارًا بكبره وقرابته وأهميته - كان يقول لهم: إنّه ساحرٌ، فيرجعون، ولا يلقونه، فاتاه وفدٌ، فقالوا: لا ننصرفُ حتى نراه، فقال: إنّ لم نزل نعالجه من الجنون فتبّاه وتعسا»^(٢).

تدل هذه الروايات بوضوح على أنّ أبا لهب كان ملازمًا للنبي ﷺ كظله، يسعى بكلّ ما أوتي من قوةٍ لإيذائه وسبّه بأقبح الألفاظ؛ ولذا كان أشدّ الناس عداوةً للنبي ورسالته، بل إنه الوحيد الذي لم يوقّع على ميثاق حماية بني هاشم للرسول ﷺ، بل وقف في صفّ أعدائه، فهذا الموقفُ الاستثنائي لأبي لهب يفسّر سبب نزول سورة المسد لتردّ على كفره وعدائه بصراحةٍ وقوة.

وأما امرأة أبي لهب "أم جميل"، فهي أخت أبي سفيان، وعمّة معاوية، وقد وُصفت في الآية الكريمة بأنها تحمل الحطب كثيرًا،

(١) في ظلال القرآن، ج ٨، ص ٦٩٧.

(٢) تفسير الفرقان، ج ٣٠، ص ٥٠٣.

وفي رقبته حبلٌ من ليفِ النخيل.

وهنا قد تسأل: لماذا وصفها القرآن بأنها حمالة الحطب؟

الجواب: قيل: لأنها كانت تأخذ الحطب المملوء بالشوك، وتضعه على طريق رسول الله ﷺ لتُدَمِّي قدميه. وقيل: إنه كناية عن النميمة. وقيل: إنه كناية عن شدة البخل، فهي مع كثرة ثروتها أبت أن تساعد الفقراء، وكانت شبيهة بحمال الحطب الفقير. وقيل: إنها في الآخرة تحمل أوزارًا ثقيلة على ظهرها.

وبين هذه المعاني، المعنى الأول هو الأنسب، وإن كان الجمعُ بينها غير مستبعد أيضًا^(١).

وإن قلت: إن القرآن أخبر عن أبي لهب بأنه سيصلى النار، أي أنه سيموت كافرًا، ولن يؤمن أبدًا. وبهذا لا يمكن لأبي لهب أن يؤمن؛ لأن نبوءة القرآن ستكون عندئذ كاذبة. وإلا سيكون أبو لهب مجبرًا على الكفر. وليس له اختيار؟!

الجواب: أن الفلاسفة الإسلاميين أجابوا عن هذا السؤال منذ القديم، وقالوا: إن الله سبحانه يعلم ما يفعله كل شخص بالاستفادة من حريته واختياره. ففي هذه الآيات مثلاً يعلم الله منذ البداية أن أبا لهب وزوجته سيختاران بإرادتهما وعن رغبتهما طريق الكفر، لا بالإجبار.

(١) يُنظر: تفسير الأمثل، ج ٢٠، ص ٥٣٩.

وبعبارة أخرى، إن عنصر الحرية والاختيار أيضاً جزء مما هو معلوم عند الله تعالى. إنه على علم بما يعملُه العبادُ، وهم مختارون متمتعون بالإرادة والحرية.

وَمِنَ الْمُؤَكَّد أَنِّ مِثْلَ هَذَا الْعِلْمِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ تَأْكِيدٌ عَلَى الْإِخْتِيَارِ، لَا عَلَى الْإِجْبَارِ^(١).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) يُنظر: المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ٥٤١.

موقف علماء المسلمين من شفاعة الأولياء ونفعهم بعد موتهم

السائل: أحمد البدري

السؤال: من أهل السنة من يسخر، ويستهزئ، فيقول: (يعتقد الشيعة أن أئمتهم لهم نفع حتى بعد موتهم مما يدل على سذاجة مذهبهم وضعف عقولهم، وهم بهذا شذوا عن المسلمين)، أفيدونا برّد وافٍ، جزاكم الله خيراً، وشكراً لكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

عندما يسخر الساخر، ويستهزئ المستهزئ بغيره، فينبغي عليه أن يتأمل في معتقده، ويراجع ما تضمّنه من مسائل قد لا تختلف جوهرياً عن معتقدات من سخر منهم، واستهزأ بهم.

ثم إن المدّعي لم يقدّم أيّ دليلٍ منطقيٍّ أو علميٍّ يُثبت سذاجة اعتقاد الشيعة في نفع الأئمة بعد الموت أو عدم منطقيته، وإنما اقتصر على التهجم ووصف الشيعة بالجهل أو عدم المعرفة، وهو

ما يعدُّ مغالطةً تستهدف تقويضَ الحجة دون مواجهتها بالأدلة.

ففي معتقد هذا الساهر ومذهبه أنَّ الوليَّ ينفع بعد موته، وهو في قبره، فيقول ابنُ القيم في "كتاب الروح": «روى ابنُ أبي الدنيا أنَّه مات رجلٌ من أهل المدينة، فرآه رجلٌ كأنَّه من أهل النار، وبعد ساعةٍ أو ثانيةٍ رآه كأنه من أهل الجنة، فقال: ألم تُقل: إنك من أهل النار؟ فقال: بلى، ولكن دُفِن معنا رجلٌ من الصالحين، فشفَّع في أربعين من جيرانه، فكنت أنا واحداً منهم»^(١).

يشير هذا النصُّ إلى قدرة الصالحين على الشفاعة بعد موتهم في مَنْ حولهم، ويؤكد على مكانتهم عند الله وقدرتهم على التأثير في أحوال الناس حتى بعد مماتهم.

ويقول ابن القيم أيضاً: «روح الوليِّ في الدار الآخرة تهزم الجيوش الكثيرة... إنَّ الولي يدرس، وهو ميتٌ، وذكر أنَّ ابن تيمية حلَّ مسألة في الميراث، وهو ميتٌ... هذا ذكره البزاز تلميذ ابن تيمية في كتابه الإعلام العلية»^(٢).

وقال أيضاً: «إنَّ الأموات عامَّة يعرفون، ويسمعون مَنْ يزورهم، ويتكلَّم معهم ولو كانوا كفَّاراً، وذكر حديث الصَّحيحين، أي حديث قليب بدر... وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه"، متفق

(١) كتاب الروح، ص ١١٤، طبعة دار الفجر، وص ٨١-٨٢، طبعة بيروت.

(٢) كتاب الروح، ص ٨٣، طبعة بيروت.

عليه... والسلفُ مُجمِعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميِّت يعرفُ زيارةَ الحيِّ، ويستبشِّرُ به»^(١).

وممَّن ذهب إلى الاعتقاد بأنَّ الوليَّ له كراماتٌ بعد موته، وأنه ينفع حتى بعد موته، ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط"، حيث قال: «وكذلك يُصدِّقُ المسلمُ ما يُذكر من كرامات وخوارق العادات التي يُجريها الله عز وجل عند قبور الأنبياء والأولياء والصالحين، مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوخي الشياطين لها واندفاع النار عنها وعمَّن جاورها وحصول الأنس والسرور عندها ونزول العذاب بمَن استهان بها وشفاعة بعضهم في جيرانهم من الموتى»^(٢).

وممن اعتقد بأنَّ الوليَّ ينفع بعد موته، ابن عبد الوهاب النجدي في كتابه "أحكام تمنِّي الموت"، حيث يقول: «وأخرج أبو نعيم وغيره عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإنَّ الميِّت يتأدَّى بجارِ السوء، كما يتأدَّى الحيُّ بجارِ السوء"»^(٣).

وقد أثبت ابن عبد الوهاب تصرُّفَ الأولياء بعد موتهم وكراماتهم، بأنَّ الولي بعد موته يأتي بالمطر إلى أهله، فقال: «أخرج ابن عدي عن علي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كتاب الروح، ص ٩، طبعة الفجر.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٤٢.

(٣) أحكام تمنِّي الموت، ص ١٧، طبعة الرياض.

قال: "عرفت جعفرًا في رفقةٍ من الملائكة يبشرون أهل بيته بالمطر" ^(١).

وأثبت ابن كثير في تفسيره أنَّ الولي يتكلَّم من داخل القبر، فذكر قصةً في سياق تفسيره سورة الأعراف، حدثت في حياة الصحابة في الكرامات، وهي طويلةٌ، وفي آخرها: «... فأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمرُ قد أعطانيهما ربِّي عز وجل في الجنة مرَّتين» ^(٢).

وقال السيوطي بعد أن أورد هذه القصة: «والقصة مطوّلةٌ، قد أوردتها في كتاب البرزخ، وأوردت فيه أخبارًا كثيرة من هذا النمط فيما وقع من سماع كلام الموتى للصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقال البيهقي: قد رُوي في التكلُّم بعد الموت عن جماعةٍ بأسانيد صحيحة» ^(٣).

ويؤكد الشيخ نجم الدين الغزي في كتابه "الكواكب السائرة"، تصرف الولي بعد موته، فيقول: «سُئل شيخ الإسلام الوالد، هل يبقى تصرف الولي بعد موته؟. فقال: نعم، يتفق ذلك لكثيرٍ من أولياء الله تعالى، واشتهر ذلك عن جماعةٍ، منهم الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ أرسلان وغيرهما. قال: وأنا اتَّفَقَ لي أني كنتُ إذا زرتُ والدي، أتصدَّقُ عند قبره بشيءٍ، فكان يجتمع

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٨٣، ط. العلمية.

(٣) الخصائص الكبرى، للسيوطي، ج ٢، ص ١١٣.

عليّ الفقراء متى زرته لِمَا علموا أَنَّ ذلك من عادتي، فزرته يوماً، فاجتمع الفقراء للصدقة، فتفقدت الكيس، فإذا قد نسيته في البيت، فتوجّهتُ إلى روحانية الشيخ الوالد، فإذا على قبره شيءٌ من الدراهم، فتناولته، ودفعته إلى الفقراء»^(١).

وفي ضوء هذه الأقوال الموثقة من مصادر معتبرة لدى أهل السُّنة، يتّضح أَنَّ هذا الاعتقاد ليس ساذجاً ولا بعيداً عن معتقدات جمهور علماء المسلمين، فالمسألة ليست سخرية، بل امتداداً لمفهوم الكرامات والنفع الذي يمنّ به الله على أوليائه، رحمةً وتوسعةً على عباده، حتى بعد موتهم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين الغزي، ج ٢، ص ٦.

نظام الإسلام الشامل في مواجهة اختزال العلمانية

المستشكل: أياد الصاغانى

الاستشكال: الإسلام مجرد نظام ديني يُعنى بالجوانب الروحية فحسب، ويتعد عن شؤون الحياة الدنيوية، فلماذا يحاول المسلمون إقحامه في كل قضية؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

هذه نظرةٌ سطحيةٌ للإسلام، فصحيحٌ أنَّ الدين الإسلامي يُعنى بالجانب الروحي للإنسان، ويربطه بخالقه، لكنَّه يتجاوز ذلك بكثيرٍ ليشمل كلَّ جوانب حياته، فالقرآن الكريم دستورٌ شامل للحياة، يُرشد المسلمين في كلِّ شؤونهم، من العبادات والمعاملات إلى السياسة والاجتماع، يقول الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، وفي هذا السياق يقول الدكتور «غوستاف

(١) النحل: ٨٩.

لوبون»: معترفًا بهذه الحقيقة: «... وإلى زمانٍ وقوع هذه الحادثة المدهشة (يعني الإسلام) الذي أبرزَ العربيَّ فجأةً في لباس الفاتحين، وصانعي الفكر والثقافة، لم يكن يُعدُّ أن جزءاً من أرض الحجاز من التاريخ الحضاري، ولا أنه كان يتراءى فيها للناظر أيَّ شيءٍ أو علامة للعلم والمعرفة، أو الدين»^(١).

وليست الشريعة الإسلامية مجرد مجموعة قوانين، بل هي نظامٌ حياةٍ متكامل، يهدف إلى تحقيق السعادة والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة، فهي تُعنى بالعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، والإسلام يهدف كذلك إلى بناء مجتمع متماسك، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٢).

ويشهد غيرُ المسلم بأنَّ الإسلام دين الحضارة والمعرفة، وأنَّ دعوته للعلم والابتكار تتجاوز حدود الزمان والمكان، وهو دينٌ يتوافق مع كل عصرٍ وزمان، فقد قال لويس سيديو (Louis Sédillot): «استطاع العلماء المسلمون بتركيز أفكارهم على الحوادث الفردية، أن يطوروا المنهج العلمي إلى أبعد مما ذهب إليه أسلافهم في الإسكندرية أو اليونان، وإليهم يرجع الفضل في استخدام أو إعادة النهج العلمي في أوروبا في العصور الوسطى»^(٣).

(١) تفسير الأمل، ج ٢، ص ٦٢٥، عن حضارة العرب، لغوستاف لوبون.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) روائع وطرائف، الشيخ إبراهيم النعمة، ص ٣٨، ط. دار الخلود، بغداد ١٩٩٠ م.

ويقول الأمير البريطاني "تشارلز": «إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة»^(١).

ويفند المؤرخ الأوروبي "روبرت بريفال" مزاعم الغربيين عن تأثير الإسلام بالتشريعات اليونانية الرومانية، فيقول: «إن النور الذي أشعلت منه الحضارة في عالمنا الغربي لم تُشرق جذوته من الثقافة اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا، ولا من البحر الميت على البوسفور (يعني بيزنطة)، وإنما بزغ من المسلمين»^(٢).

فالإسلام ليس ديناً يقتصر على المساجد والعبادات، بل هو دين الحياة، وهو شامل لكل جوانبها، فهو دين العقل والقلب، وهو دين الدنيا والآخرة.

وهنا قد تسأل: إذا كان الإسلام قد أضفى النور على الحضارة الغربية، فما تأثير الفلسفات والثقافات الأخرى، مثل الفلسفة اليونانية والرومانية، في تشكيل الفكر الإسلامي؟

الجواب: أن الفلسفات والثقافات الأخرى - مثل الفلسفة اليونانية والرومانية - كانت مجرد محطّات على طريق الحضارة

(١) الإسلام والغرب، الأمير تشارلز، محاضرة في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣م.

(٢) فضل المسلمين على الإنسانية، تحت عنوان: "رسالة النور والخلاص".

الإسلامية التي لم تقتصر على استيعاب ما يأتي من الخارج، بل قامت بتطويره وإعادة تشكيله، فالإسلام لم يكن مجرد مستقبل للمعرفة، بل كان مُصنَّعاً لها ومبتكراً لها، وكان هو القوة الدافعة نحو الإبداع والابتكار.

فعندما استوعب المسلمون الفكر اليوناني بطريقةٍ تكاملية، قاموا بدمج جوانبه القيِّمة مع تعاليم الإسلام، مما أدَّى إلى صياغة رؤية فلسفية جديدة، والفلاسفة كـ«ابن سينا» ساهموا بنحوٍ كبير في هذا التكامل، حيث وسَّعوا المفاهيم اليونانية، وربطوها بالمعارف الإسلامية، وهذا النهج التكاملي ساهم في إحداث تقدُّم علمي ملحوظ في العالم الإسلامي، متجاوزاً إنجازات الحضارات السابقة.

وبخلاف ذلك، فقد تأثرت الفلسفة اليونانية بالرومانية بعوامل متعدِّدة وأحياناً كانت أسيرةً للقيود الثقافية والاجتماعية.

أما الفكر الإسلامي، فقد تحرَّر من هذه القيود، وعانق الطموح نحو المعرفة والتفكير النقدي، حتى أصبحت إسهامات الحضارة الإسلامية في العلوم والطب والفلسفة الأساس الذي استندت إليه النهضة الأوروبية، بل كانت بمثابة شُعلةٍ أضاءت ظلام العصور الوسطى.

لذا، عندما نتحدَّث عن تأثير الحضارة الإسلامية، فإننا نتحدَّث عن قوةٍ دافعة غيَّرت مجرى التاريخ، فالإسلام لم يقتصر على

استيعاب الفلسفات الأخرى، بل كان له أثرٌ قويٌّ في تشكيل هوية فكرية جديدة، أضافت إليها أبعاداً روحية وأخلاقية.

فالقول بأنَّ الفلسفات الأخرى هي التي شكَّلت الفكر الإسلامي هو تحريفٌ للتاريخ، فالإسلام كان المحرِّك الرئيس لهذا التطور الفكري، والحضارة الغربية أيضاً استفادت بنحوٍ كبير من هذا الإرث، مما يؤكِّد قيمة الدور الحضاري للإسلام.

وباختصارٍ شديد، فإنَّ الإسلام هو دينٌ شاملٌ يُعنى بكل جوانب حياة الإنسان، من علاقته بربه إلى علاقاته بالآخرين، وإنَّ محاولة فصل الدين عن الحياة هي محاولةٌ فاشلة، فالإسلام يرى أن الدين هو أساسُ كل شيء.

وفي الختام: إذا كان الإسلام ديناً يُعنى فقط بالجانب الروحي، فلماذا نجد في تاريخه حضارة مزدهرة ساهمت في تقدم العلوم والمعارف؟!

ولماذا نجد في القرآن الكريم آياتٍ تتحدَّث عن شؤون الحياة الدنيا والآخرة؟!

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلِّم على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين المعصومين المتجِّبين.



هل شرط القرشية يحقق الإمامة لأبي بكر وحده؟

المستشكل: أبو عبد الرحمن

الاستشكال: قال عياض: "اشتراط كون الإمام قرشيًا مذهبُ العلماء كافة، وقد عدُّوها من مسائل الإجماع" (فيض القدير، للمناوي، ٣: ١٨٩)، ونظرًا لأنَّ أبا بكرٍ كان من قريش، نستنتج من ذلك أنَّ أبا بكر هو الإمام الذي يجب طاعته على وفق هذا الشرط الإجماعي.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُدَاة الأنام.

إنَّ اشتراط كون الإمام من قريش هو شرطٌ اتَّفَقَ عليه علماءُ أهل السُّنة على أنه صفةٌ عامة لمن يتولَّى الإمامة، ولكنَّ هذا الشرط لا يقتضي بحالٍ من الأحوال حصرَ الإمامة في شخصٍ بعينه، كالقول بأنَّ أبا بكر هو الإمام الواجب طاعته استنادًا فقط لكونه قرشيًا.. فكيف يمكن اعتبار شرط القرشية دليلًا على حصر الإمامة في أبي بكر، بينما هذا الشرط يشمل غيره من قريش ممن تتوفَّر فيهم شروطٌ أخرى للإمامة؟!!

وقد نصّ علماء أهل السُّنَّة -بالإضافة إلى وجوب كون الإمام قرشيًّا- على مجموعةٍ من الصفات الواجب توفرها في الإمام الواجب الطاعة، ومنها:

١ - العدالة^(١):

ولا عدالة لأبي بكرٍ بحسب النصوص الصحيحة، فقد ورد في أصحِّ الكتب والمصادر السُّنِّيَّة ما ينفي عدالته، حيث يشهد عمرُ بن الخطاب بنفسه على أنَّ العباس عمَّ النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليًّا عليه السلام كانا يريان أبا بكر وعمرَ كاذبين، آثمين، غادرين، خائنين. فقد روى الزهري أنَّ مالك بن أوس بن الحدثان نقل عن عمر بن الخطاب -في حديث طويل- قوله مخاطبًا العباس وعليًّا عليه السلام: «فلما توفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نورث ما تركنا صدقة"، فأَيْتَمَاهُ كاذبا آثما غادرا خائنا... إلخ الرواية»^(٢).

(١) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٣٤١. والإيجي في المواقف، ص ٥٨٧. والماوردي في الأحكام السلطانية، ص ٥. والتفتازاني في شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣. وغيرهم.

(٢) صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٥٢.

٢- الأعلمية^(١):

ولا علم لأبي بكر بحسب المرويَّات السُّنية التي تبين جهله، فقد رُوي عن قُبَيْصَةَ بن ذُؤَيْب، قال: «جاءت الجَدَّةُ إلى أبي بكر تسأله ميراثها، فقال: ما أعلم لك في كتاب الله شيئاً، ولا أعلم لك في سُنَّةِ رسول الله من شيءٍ حتى أسأل الناس، فسأل، فقال المغيرة بن شعبه: سمعتُ رسول الله جعل لها السِّدس، فقال: مَنْ يشهد معك؟ أو مَنْ يعلم معك؟ فقام محمد بن مسلمة، فقال مثل ذلك، فأنفذه لها»^(٢).

وعن الشعبي قال: «سُئِلَ أبو بكر عن الكلالَة، فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وأن كان خطأً فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد، فلما استخلف عمر، قال: إني لأستحيي الله أن أردَّ شيئاً قاله أبو بكر»^(٣).

وقال القرطبي في تفسيره: «قال إبراهيم التيمي: إنَّ أبا بكر الصديق سُئِلَ عن تفسير الفاكهة والأبِّ فقال: أيَّ سماءٍ تظلّني، وأيِّ أرضٍ تقلّني إذا قلت: في كتاب الله ما لا أعلم؟»^(٤).

علاوة على ذلك فإنَّ شرط القرشيَّة في الإمامة مبتنٍ على

(١) الإيجي في المواقف، ص ٥٨٦. والبغداد في الفرق بين الفرق، ص ٣٤١. والماوردي في الأحكام السلطانية، ص ٥. والتفتازاني في شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٣. وغيرهم.

(٢) مسند أحمد، ج ٢٩، ص ٤٩٩، ط. الرسالة.

(٣) مسند الدارمي، ج ٤، ص ١٩٤٤، ت. حسين أسد.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٢٢٣.

حديث "الأئمة من قريش"، الذي رُوي بألفاظٍ مختلفة، منها: قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلُّهم من قريش...»^(١).

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة... كلُّهم من قريش»^(٢).

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة... كلُّهم من قريش»^(٣).

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، لا يضرُّه مخالفٌ ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً... كلُّهم من قريش»^(٤)،... إلى غيرها من ألفاظ الحديث.

ولعلماء أهل السنة في معنى حديث "الخلفاء اثنا عشر" تخبُّطٌ عجيب وتفسير غريبة لا تتفق مع ظاهر المعاني الواردة في هذا الحديث، فقد قال الحافظ سليمان البلخي الحنفي: «قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثنا عشر قد اشتهرت من طرقٍ كثيرة فبشرح الزمان، وتعريف الكون

(١) صحيح مسلم، ج ٦، ص ٤، كتاب الإمارة. باب الناس تبعٌ لقريش. والخلافة في قريش.

مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٨٦ و ٨٨ و ٩٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، ص ٦٩٠.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٦، كتاب الإمارة. باب الناس تبعٌ لقريش. والخلافة في قريش.

مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٩٨ و ١٠١. صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٤٥.

(٣) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٨٧ و ٨٨ و ٩٠. المستدرک، ج ٣، ص ٦١٧.

والمكان، علم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا: الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته؛ إذ لا يمكن أن يُحمَل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر «وهم أربعة»، ولا يمكن أن يحمله على ملوك الأموية لزيادتهم عن اثني عشر (وهم ثلاثة عشر) لظلمهم الفاحش، إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "كلهم من بني هاشم"، في رواية عبد الملك عن جابر^(١).

وقد بلغ الأمرُ ببعض سلف أهل السُّنة إلى منع توضيح حديث "الأئمة من قريش" الذي اتفق على صحته وتواتره جمهورُ المسلمين من السُّنة والشيعة، فقد قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في كتابه "إجابة السائل"، سؤال رقم ٢٢١: «لماذا لا يبيّن العلماءُ للمسلمين حديثَ: الأئمة من قريش؟ ج ٢٢١: إنّ هذه المسألة لها دخلٌ بالسياسة أكثر وأكثر، من أجل هذا نجد كثيرًا من أهل العلم لا يستطيعون أن يتكلموا فيها، ولقد كان بعضُ الأفاضل يدرّسنا، ونحن في الجامعة الإسلامية، وكان يدرّسنا تاريخ الخلفاء، ثم بعد تاريخ الخلفاء يتملّص من هذه المسألة، والمدرّس نفسه يتملّص من هذه المسألة نفسها؛ لأنّ حكّام المسلمين لا يُرضيهم هذا الكلام، أن يُقال: الأئمة من قريش»^(٢).

فالشيخ الوادعي يقرّ بأنّ مسألة توضيح حديث "الأئمة من

(١) ينابيع المودّة، للحافظ سليمان القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٢) إجابة السائل على أهم المسائل، لمقبل الوادعي، ص ٤٣٨، ط. دار الحرمين بالقاهرة.

قريش "مرتبطة بالسياسة، مما يمنع العلماء من تناولها وإيضاحها والخوض في بيانها، ويشير الوداعي إلى تجنب العلماء الخوض في هذا الموضوع، ويبين عدم رضا الحُكَّام عن طرحه، مما يؤكد بوضوح أنَّ هذا الحديث لا ينطبق إلا على عليّ وبنيه من الأئمة الهداة عليه السلام .

وأما ما يخصُّ قرشية أبي بكر فقد دلَّت الوثائق التاريخية على أنه ليس من أشرف قريش، بل هو من طبقة أقل شأنًا، ففي رواية قصة دغفل النسابة مع أبي بكر بعد أن سألهم أبو بكر عن نسبهم، وأجابوه، قال له أحدهم، وهو دغفل: «يا هذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتُمْك شيئًا...»، فسأله، وسأله إلى أن قال له دغفل: «أما والله يا أخا قريشٍ لو ثبت لأخبرْتُك أنك من زمعات قريش، ولست من الذوائب»^(١).

وفي بيان معنى (زمعات قريش)، قال ابن منظور في لسان العرب: «في الحديث، حديث أبي بكر والنسابة: إنك من زمعات قريش، الزمعة، بالتحريك: التلعة الصغيرة، أي لست من أشرفهم، وهي ما دون مسايل الماء من جانبي الوادي»^(٢).

وقال أبو موسى الأصبهاني المديني: «في قصة أبي بكر مع النسابة: "إنك من زمعات قريش" قيل: الزمعة: التلعة الصغيرة: أي

(١) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ص ٢٨٥.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج ٨، ص ١٤٤.

لست من أشرافهم، وقيل: هي ما دون الرّحبة من مسایل الماء في جانب الوادي. والزّمع والأزّماع: المآخِر والأدوان والآتباع والرّذال»^(١).

وقال ابن الأثير في النهاية: «في حديث أبي بكر والنسابة «إنك من زمعات قريش» الزمعة بالتحريك: التلعة الصغيرة: أي لست من أشرافهم، وقيل: هي ما دون مسایل الماء من جانبي الوادي»^(٢).

ويتحصّل مما تقدّم أنّ دغلاً النسابة ينسب أبا بكر إلى "زمعات قريش" ويعبر عن تقويمه لنسبه، حيث يشير إلى أنّ أبا بكر ليس من أشراف قريش، بل من طبقة أقل شأنًا، فالتعبير "زمعات قريش" يدل على التلعة الصغيرة أو المواقع الأدنى من الوادي، في إشارة إلى عدم الانتماء إلى صفوة قريش أو ذروتها.

ويتلخّص مما تقدّم: أن اشتراط القرشية للإمامة شرط عامّ لدى أهل السّنة، لكنّه لا يخصّص الإمامة بشخص معيّن كأبي بكر، فبالإضافة إلى القرشية يجب توفر صفات أخرى في الإمام، مثل العدالة والعلم، والتي وُجدت نصوصٌ تشير بوضوح إلى انتفاءها عن أبي بكر. أما حديث "الأئمة من قريش"، فغالبُ تفاسيره تشير إلى الأئمة من أهل البيت **عليهم السلام**. ثمّ إن مكانة أبي بكر في قريش

(١) المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، ج ٢، ص ٢٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج ٢، ص ٣١٣.

لم تكن من الأشراف، بل ما هو أدون وأدون من ذلك، مما يجعل
حصر الإمامة به غير مبرّر على ما جاء في الاستشكال.

والحمد لله أوّلاً وآخرًا، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا
محَمَّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



التمسك بأهل البيت عليه السلام هل يتناقض مع القول بأخذهم العلم من غيرهم؟

السائل: عبد الله

السؤال: ما الضير وما يترتب عقائدياً لو قلنا بعقيدة السلفية من أنّ أهل البيت عليه السلام يأخذون علمهم من غيرهم ككبار الصحابة أو غير الصحابة؟ وهل في ذلك تناقض مع حديث الثقلين أو أحاديث أخرى؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

إنّ القول بأنّ أهل البيت عليه السلام يأخذون علمهم من غيرهم -ككبار الصحابة أو سواهم- يستبطن جملةً من الإشكالات التي تناقض الأدلة القطعية الواردة في حقهم، ولنوضح المسألة على النحو الآتي:

أولاً: التناقض مع حديث الثقلين:

حين أمر النبي ﷺ المسلمين في حديث الثقلين بأن يتمسكوا بالكتاب وأهل البيت عليه السلام، فإنه جعل من أهل البيت قريناً للقرآن الكريم، ووصفهما بأنهما "لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض"، وفي سياق هذا الحديث يقول الملاء علي القاري: «أقول: الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم والمطلعون على سيرته الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله...»^(١).

وهكذا يقول ابن حجر في "الصواعق": «ثم الذين وقع الحثُّ عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: "ولا تعلموهم؛ فإنهم أعلم منكم"»^(٢).

فهذا الاقتران يقتضي استقلال أهل البيت المطلقة في الهداية والمعرفة، إذ لا يمكن أن يأمر النبي ﷺ المسلمين بالتمسك بمن يحتاج في علمه لمصادر أخرى أقل منه، فهذه المصادر مرجعية تناقض الغاية من التمسك بهم، فإذا كانوا بحاجة لأخذ العلم من غيرهم فما الحاجة للمسلمين بالعودة إليهم وحدهم،

(١) مرقاة المفاتيح، ج ١٠، ص ٥٣١.

(٢) الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي، ص ١٥١.

كما أمر النبي ﷺ؟

فهل يُعقل أن يلزمنا رسولُ الله ﷺ بالتمسُّك بمن يأخذ علمه من بشرٍ غير معصومين، بينما جعلهم قُرْناء للقرآن الذي لا يأتيه الباطل؟! فإن التمسُّك بمن يتلقَّى علومه من غيره يتناقض مع مبدأ الهداية الكاملة المتحقِّقة بأهل البيت عليه السلام.

ثانيًا: الإخلال بالعصمة وثبوت الطهارة الإلهية لهم عليه السلام:

الآية المباركة من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، التي أقرَّ علماء أهل السنة بنزولها في أهل البيت عليه السلام، حيث قال الشوكاني في الإرشاد: «قد ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسين»^(٢).

وقال أحمد بن محمد الشامي: «وقد أجمعت أمّهات كتب السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي ﷺ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين؛ لأنهم الذين فسّر بهم رسولُ الله ﷺ المراد بأهل البيت في الآية، وكلُّ قولٍ يخالف قولَ رسولِ الله ﷺ من بعيدٍ أو قريبٍ مضروبٌ به عرض الحائط، وتفسيرُ الرسول ﷺ أولى من تفسير غيره؛ إذ لا أحد

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) إرشاد الفحول، ج ١، ص ٢٢٢.

أعرف منه بمراد ربّه»^(١)، وغيرهما كثيرٌ من أعلام أهل السنة.

فهذه الآية تُثبت لأهل البيت العصمة والطهارة التامة، والعصمة التي أكرمهم الله بها تشمل العلم الكامل، يقول ابن حجر الهيتمي في الصواعق: «ويؤيّدُه الخبرُ السابق: «ولا تعلّموهم؛ فإنهم أعلم منكم»، وتميّزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها»^(٢).

فكيف يُعقل أن يُنسب إليهم احتياجهم لغيرهم في العلم؟!

إذا، أيّ ادّعاء بأنهم يأخذون من الآخرين هو مناقضٌ لعصمتهم **عليهم السلام**؛ لأن التبعية العلمية تعني نقصاً في معرفتهم، وهذا مما لا يتفق مع الآية المباركة.

ثالثاً: إبطال لحكمة القيادة الإلهية وللمنزلة الربانية للأئمة:

الأئمة **عليهم السلام** هم القادة الربانيون الذين اجتباهم الله سبحانه لتولّي زمام الهداية على لسان رسوله الكريم **صلى الله عليه وآله وسلم**، بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣)، ومن مقتضيات هذا الاختيار أن يكونوا في غنى عن أيّ مصدر بشريّ؛ إذ إنهم توارثوا العلم من رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**؛ ولذا فإن القول باحتياجهم

(١) جناية الأكوع، ص ١٢٥.

(٢) الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي، ص ١٥١.

(٣) الحشر: ٧.

لعلم الصحابة أو غيرهم يعارض الغاية من تنصيبهم أئمة هداة للمسلمين، ويقوّض حكمة الله في تعيينهم خلفاء معصومين حاملين للودعة النبوية؛ فلا يُعقل أن تكون القيادة الإلهية مستندة لمن يحتاج إلى علم الآخرين.. إذ كيف يمكنهم هداية الأمة وتوجيهها إن كانوا ليس لهم علمٌ إلا بتوجيهات بشرية من غيرهم!!

رابعاً: التناقض مع الأحاديث النبوية في بيان علم الإمام عليّ عليه السلام:

علم عليّ عليه السلام واضحٌ مشهورٌ بين الصحابة آنذاك، فقد كان هو الباب الذي من أتاه أُوتي العلم؛ إذ هو بابُ مدينة علم الرسول، حيث دلت على أعلميته جملةٌ من الأحاديث النبوية، منها حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم، وعليّ بابها»، وهو حديثٌ مشهورٌ صحيحٌ إن لم نقل: متواتر، فقد رواه كثيرٌ من أعلام أهل السنة، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير^(١)، وحكاه الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، وقال: «صحيح»^(٢)، وأخرجه الحاكم في مناقب عليّ عليه السلام، من طريقين، أحدهما: عن ابن عباس من طريقين صحيحين، والآخر: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وقد أقام على صحة طرقه أدلة قاطعة^(٣).

فتشبيه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم نفسه بـ "مدينة العلم" وعليّ عليه السلام بـ "بابها" هو تشبيه رمزي. إذ إنّ المدينة تمثّل مجموع العلوم والمعارف، والباب

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ص ١٠٧.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ٤، ص ٢٨.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٢٦.

هو المدخل إليها، وهذا يعني أنّ عليّاً عليه السلام هو المفتاح لفهم هذه العلوم والمعارف، وهو الذي يرشد الناس إليها.

فإذا كان عليٌّ عليه السلام هو باب مدينة العلم، فمن المؤكّد أنّ يكون أعلم الناس بعد النبي صلّى الله عليه وآله وآله وصحبه بما أنّ العلم يدخل إليه عن طريقه.

وقد ورد في أحاديث أخرى ما يؤكّد إرجاع النبي صلّى الله عليه وآله وآله وصحبه أمّته إلى عليٍّ عليه السلام، بقوله صلّى الله عليه وآله وآله وصحبه له: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»^(١).

وفي حديث آخر، عن أنسٍ، أنه قال: «قيل: يا رسول الله عمّن نأخذ العلم بعدك؟ قال: عن عليٍّ»^(٢).

وبناءً على هذه الأحاديث، يتضح جليّاً أنّ الإمام عليّاً عليه السلام وارث علوم النبوة، وحامل رسالة الهداية إلى الأمة، ليكون بذلك منارة العلم التي أشار إليها النبي صلّى الله عليه وآله وآله وصحبه، داعياً الأمة إلى اتباعه والتسّمك بنهجه.

فكيف يمكن أن يُقال بأنّه يأخذ علمه من غيره، وهو باب العلم الذي تفيض منه معارف النبي صلّى الله عليه وآله وآله وصحبه؟؟!

أُيعقل أن يُقال: إنه يأخذ علمه من بشرٍ آخرين، وهو الذي

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٢٦ وقال: صحیحٌ علی شرط الشیخین، ولم یخرّجاه. وذكره صاحب حلیة الأولیاء، ج ١، ص ٦٤؛ وکنز العمال، ج ١١، ح ٣٢٩٨٣.

(٢) قرة العینین فی تفضیل الشیخین، لقطب الدین أحمد شاه ولی الله، ص ٢٣٤.

جعل منه النبي ﷺ مرجعًا وملاذًا للأمة في مسائلهم واختلافاتهم بعده؟!!

فأنى يُنسب إليه أخذ العلم من غيره، وهو من أُوتي العلم الذي يرجع إليه كل من يطلب الهداية والحق؟!!

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



هل يدخل إبليس ضمن عموم المسبّحين؟

السائل: علي عدنان باقر

السؤال: في القرآن الكريم وردت الآية الكريمة ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، فهل يدخل إبليس لعنة الله عليه في مضمون هذه الآية؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهّرين مصابيح الظلام، وهداة الأنام.

التسبيح في اللغة يعني التنزيه عن النقائص والمعائب. فعندما ينزه شخص أحداً عن النقائص والعيوب يقال: سبّحه، وقدّسه. إذاً، التسبيح ينطوي على معنى التقديس والتنزيه، وأيُّ تفسير له لا يكون حاكياً عن تنزيه الله وتقديسه من النقائص والعيوب لا يمكن أن يكون صحيحاً أو مقبولاً.

إلا أن كثيراً من المفسّرين ذهبوا في تفسير "التسبيح" في الآية إلى أنه تسبيح عموم الموجودات على أساس دلالتها

التكوينية على صفات الخالق الكمالية، فهم يرون أَنَّ النظام العجيب المستخدم في تكوين كل واحدٍ من هذه الموجودات - بما فيه من دقةٍ متناهية وتعقيدٍ مليءٍ بالأسرار - يدل بوضوحٍ على وجود "قدرةٍ" عليا و "حكمةٍ" و "علمٍ" مطلقين لصانعها وخالقها.

فإنَّ كلَّ مخلوقٍ في هذا الكون - من الذرة إلى المجرة - يشهدُ بلسانِ التكوين على خالقه، ويُبرز كمال صفاته، مثل علمه وحكمته وقدرته، وهذه الشهادةُ التكوينية تكفي في التسبيح، حيث يدلُّ الشيء على كمال المؤثر وخلوّه عن النقص، دون الحاجة إلى أن يكون التنزيه بصيغةٍ سلب النقائص ابتداءً، ففي مجال تنزيه الله عن الشريك، يدلُّ النظام الموحد السائد في الكون - من أصغر مكوناته إلى أكبرها - على أنَّ جميع هذه المخلوقات صُنعت بإرادةٍ خالقٍ واحد دون أيِّ مشاركةٍ من خالقٍ آخر، فوحدةُ النظام دليلٌ قاطع على وحدة المنظم وتنزيهه عن الشريك.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الأسرار الدقيقة والتقدير المتقن في خلق الموجودات يكشفان عن علم الصانع وحكمته وقدرته، ويشهدان بتنزّهه عن أيِّ نقصٍ كالعجز أو العبث أو الجهل، وهكذا، يكفي في التسبيح دلالةُ الموجودات على الكمال الإلهي، حيث يكون ذلك ملازمًا لدفع أيِّ صفةٍ نقصٍ عنه، دون أن تكون الدلالة مباشرةً أو صريحة على نفي الجهل.

وبناءً على هذا التفسير القائل بأنَّ كل موجودٍ في الكون يسبِّح

الله تعالى بلسان حاله، أي بدلالة تكوينه على صفات خالقه، فإن إبليس اللعين يدخل ضمن هذا العموم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾؛ وذلك لأن التسييح في هذا السياق يعني دلالة المخلوق على صفات الخالق الكمالية.

لكن الآية محل السؤال، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، فهي تدل على أن كل شيء في الكون يسبح بحمد الله، وعند مقارنتها بالآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٢)، نجد أن القرآن الكريم ينسب العلم والوعي إلى المخلوقات المسبحة، أي أنها تدرك عظمة الله، وتقديره بطرق مختلفة، وهذا الإدراك قد لا يكون بالضرورة إدراكاً واعياً كما نفهمه نحن، بل هو نوع من الإدراك الكوني المتجلى في حركة الكون وسيره.

فكيف يمكن أن يدخل إبليس ضمن هذا العموم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾؟!؟

فإذا كانت المخلوقات تسبح الله عن وعي وإدراك، فكيف يفعل ذلك من عصي الله، وكفر به؟

بالإضافة إلى ذلك، فإن تنمة الآية الأولى تقول: ﴿وَلَكِنْ لَا

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) النور: ٤١.

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، فكيف فقه المفسّرون تسبيح المخلوقات، وقالوا: هو تكوينها ودلالة خلقها ووجودها؟!!

والخلاصة أنّ إبليس لا يسبح الله عن وعي وإدراك؛ لأنه كافر، ولكنّ تسبيحه يكون بلا قصد بل تكويناً مثل سائر المخلوقات غير العاقلة في تسبيحها لله من الناحية التكوينية فقط.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



قيمة الدين في معالجة التحديات الحياتية مقارنة بالأنظمة العلمانية

المستشكل: وميض

الاستشكال: الدين لا ينفع في الحياة العملية، فهو لا يقدم حلولاً ملموسة لمشاكل الجوع والفقر، بينما الأنظمة العلمانية توفر برامج اجتماعية حقيقية لتحسين حياة الناس وتلبية احتياجاتهم اليومية!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين مصايح الظلام، وهداة الأنام.

تسأل عن دين "لا ينفع في الحياة"؟ ألم يكن الدين - على مر التاريخ - دافعاً وراء الثورات ضدّ الظلم والاضطهاد، والملهم البارز للعلم والمعرفة ونشر القيم الإنسانية؟! وهل من المنطق حصر قيمة الدين فقط في إشباع جوعك اللحظي والآني، بينما يهدف في واقعِهِ إلى تهذيب النفوس، وبناء العدل، وتركيز النفوس، وتقديم منظومة خُلقيّة تدفع المجتمع كلّهُ للنهضة؟!

إذا كنت ترى أنّ الدين الذي لا يحقق لك مصلحةً دنيوية أو يرفع

جوعاً ملموساً لا قيمة له، فربما أنت تنظر إلى الدين كما تنظر إلى سلعة يجب أن تدرّ عليك نفعا مادياً مباشراً، للأسف فهذا تصوّر سطحيّ وساذج، فالدين ليس خدمةً فورية لتلبية الرغبات؛ بل هو منهجٌ شامل يدعو إلى الارتقاء بالذات والتخلّص من الأنانية.

ومع ذلك، لو نظرنا إلى الدول العلمانية لوجدنا أنّ الجوع والفقر ليسا غائبين عنها، على رغم وفرة الموارد والتقدم التكنولوجي، فإن كثيراً من المجتمعات العلمانية تعاني من مشكلاتٍ اقتصادية تؤدّي إلى الفقر والتشرّد والجوع بسبب تفشّي البطالة، حتّى في أغنى دول العالم، فهل يمكنك القول بأن العلمانية بذلك "لا قيمة لها"؛ لأنها لم تحلّ مشكلة الجوع تماماً؟

إذا قلت: نعم، فأنت متناقض. وإذا قلت: لا، فأنت تهدم إشكالك بنفسك ضد الدين، وتسقطه.

وإنّ من السخرية أن يُتَّهم الدينُ بقلّة الفاعلية في حلّ المشاكل المادية في الوقت الذي نرى فيه أنّ الأنظمة العلمانية -التي تروّج لنفسها كأنها الحلّ الوحيد لمشاكل الإنسان- فشلت في تقديم حياةٍ كريمةٍ لكل أفرادها، أما الدينُ فإنه يقدّم حلولاً جوهرية لمشاكل النفس والمجتمع، وهو لا يتوقّف عند الجوع المادّي بل يتعدّاه إلى معالجة مشاكل الجوع الروحي، ويعطي الأمل، وهو الأكثر تأثيراً في حياة الإنسان.

يقول الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ **لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾^(١)، في هذه الآية نجد دعوة صريحة للمؤمنين لتخصيص جزءٍ من أموالهم لإغاثة المحتاجين، مما يعني أنَّ الدين لا يقف عند حدود العبادة الشخصية، بل يمتدُّ إلى العمل الاجتماعي وتحقيق العدالة والرحمة، ويحثُّ على رعاية الفقراء والمساكين.

أما إذا كنتَ ترى أنَّ الدين الذي لا يرفع جوعَكَ المادي أو يلبِّي احتياجاتَكَ الفورية لا قيمةَ له، فأنتَ تبني حكمَكَ على مقياسٍ ضيق، يعتمد فقط على المنفعة الملموسة في الحياة الدنيا، متجاهلاً أبعاداً أعمق في جوهر الدين، فالدينُ ليس أداةً لتحقيق رغبات آنيّة، بل هو رسالةٌ تهدف إلى تهذيب النفوس والارتقاء بالأخلاق وإقامة العدل الاجتماعي.

وإن الحديث عن تفاوتاتٍ اقتصاديةٍ في المجتمعات الدينية أو فسادٍ يعمُّ بعضها، فهذا لا يعني أنَّ الدين نفسه هو المسؤول عن هذه التفاوتات أو الفساد، بل هو انعكاسٌ للخلل في تطبيق القيم الدينية على أرض الواقع؛ لأنَّ الدين في جوهره يدعو إلى العدالة والمساواة ورعاية الفقراء، لكنَّ المشكلة ليست في الدين ذاته، بل في فهم وتطبيق بعض المتديّنين له، فلو طُبِّقت تعاليم الدين بنحوٍ صحيح على كافة الصُّعَد، لما كانت هذه التفاوتات موجودة، إذاً،

(١) الذاريات: ١٩.

الفسادُ لا علاقة له بالقيم الدينية، بل هو نتيجةٌ لتفسيرٍ خاطئٍ أو تطبيقٍ مشوّهٍ للدين.

والخلاصة: أن الدين يقدم حلولاً شاملة تتجاوز تلبية الاحتياجات المادية الآنية إلى تهذيب النفوس، مثل تحقيق العدل، وإقامة نظام متكامل يوازن بين الروح والمادة.

أما الأنظمة العلمانية فهي تبقى قاصرة، بل عاجزة عن القضاء الجذري على الفقر والفساد على رغم طرحها برامج اجتماعية متقدمة. واستمرار الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في الدول العلمانية يكشفُ بوضوح تامٍّ عن محدودية معالجتها للمشكلات وفشلها الذريع في ذلك.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

| | |
|---------------------------------------------------------------------------|----|
| المقدمة..... | ٥ |
| حديث الثقلين دليل قاطع على جمع النبي للقرآن وعدم الحاجة إلى جمع لاحق..... | ٧ |
| العادات اليهودية والنصرانية في عاشوراء "الصوم والاكتمال"..... | ١١ |
| فصل الدين عن الدولة بين النظرية والتطبيق..... | ١٧ |
| أسطورة اختفاء الإمام المهدي المنتظر في السرداب..... | ٢١ |
| هل تزوج النبي داود بامرأة أوريا بعد قتله؟..... | ٢٦ |
| الإلحاد والحرية الجنسية في الفكر الليبرالي..... | ٣٤ |
| أحاديث اعتقد أهل السنة موجبها، ولم يرد لها ذكر في الصحيحين..... | ٣٨ |
| تبعات الاعتقاد بأن "البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله"..... | ٤٤ |
| الفرق بين السؤال والتوسل..... | ٥١ |
| المهدي المنتظر وعد إلهي وحقيقة واقعية..... | ٥٥ |
| إسرائيل بين فسادين وانتقامين في النص القرآني..... | ٦٢ |
| تعدد الشفعاء يوم القيامة..... | ٦٥ |
| أبو بكر: أنا لست خليفة رسول الله..... | ٧٠ |
| بين رسول الله والإمام الحسين وحدة الكمال الروحي والنهج الرسالي..... | ٧٤ |

هل رواية بصائر الدرجات تؤكّد لقب الصديق ووجود أبي بكر

- مع النبي في الغار؟ ٧٨
- تحليل نقديّ لزعم عدم إمكانية الحكم على تنظيم الكون ٨٢
- سرّ تخصيص القرآن لأبي لهب وامرأته بالذكر في سورة المسد ٨٦
- موقف علماء المسلمين من شفاعة الأولياء ونفعهم بعد موتهم ٩١
- نظام الإسلام الشامل في مواجهة اختزال العلمانية ٩٦
- هل شرط القرشية يحقق الإمامة لأبي بكر وحده؟ ١٠١
- التمسك بأهل البيت **عليهم السلام** هل يتناقض مع القول بأخذهم العلم من غيرهم؟ ١٠٩
- هل يدخل إبليس ضمن عموم المسبّحين؟ ١١٦
- قيمة الدين في معالجة التحديات الحياتية مقارنةً بالأنظمة العلمانية ١٢٠